376

HARLEQUIN

روايات أحلام

الزوجة العذراء

ماريون لينوكس

www.elromancia.com
مرمورية

الزوجة العذراء

... عندما فتح ماركوس بنسون الباب، اصطدم مباشرة بسندريلا.

ولكن على سندريلا أن تكون الآن في مطبخ أسرتها توقد النار، جائعة. أليست هكذا تسير الحكاية؟ الحكاية لا تقول أبداً إن سندريلا كانت تجلس على فسحة الدرج، تتناول غداءها...

ومع هذا، فسندريلا هذه بحاجة إلى عريس قبل يوم الأربعاء... ولم يصدق ماركوس أنه قد يتورط معها بشيء كهذا. أتراه جن؟

إنه لا يتورط أبداً، وبالتالي ليس مضطراً إلى أن يعرض عليها أي شيء. ويمكنه أن يتراجع مبتعداً في هذه اللحظة. لكنه لا يستطيع! وحدق إلى شبيهة سندريلا، إلى ملامحها المتمردة، فرأى خلف هذا التمرد أثراً من يأس.

وقرر أن يريد أنه يساعدها مهما كان الأمر. ولأول مرة خلال كثير من السنين، يرغب ماركوس بنسون أن يتورط...

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-330-2

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Last-Minute Marriage
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Marion Lennox 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 330 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

ماريون لينوكس

ولدت في إحدى المزارع في استراليا، وغادرتها فيما بعد. . .
كتبت ماريون عدة روايات لسلسلتي «الروايات الطبية» و«الروايات العاطفية». استخدمت في بداياتها اسماً مختلفاً لكل نوع من الروايات. فإذا كنتم تملكون روايات قديمة سوف تجدون رواياتها موقعة باسم تريشا دايفيد.

بالإضافة إلى الكتابة والاهتمام بزوجها، تولي ماريون اهتمامها إلى أولادها، الكلاب، القطط، الدجاج وإلى الضيوف الذين تستقبلهم إلى مائدة العشاء. كما تعتني بالحديقة وبتنظيف المنزل، لكن هذان الاهتمامان يضيعان وقتها. أما السفر فقد وجدت فيه ماريون متعة لا تنتهي.

عندما كانت في سن المراهقة قيل لها إن لا فائدة ترجى من قراءة الروايات. والآن أصبحت الروايات محوراً أساسياً في حياتها؛ فكتابة الروايات سمحت لها بالتنقل والسفر بصورة دائمة. وإذا كان هناك من نموذج للأشخاص الذين ينجحون في تحقيق أحلامهم فهو: ماريون لينوكس.

١ - امبراطورية الحب

دفع ماركوس بنسون بشدة باب النجاة من الحريق، فإذا به يصطدم مباشرة بسندريللا.

لم يكن اصطدام ماركوس بأي شخص، شيئاً عادياً. فقد كان رجلاً مرهوب الجانب بصفته رأس «شركة بنسون». ذات النفوذ والصيت الذائع في دنيا الأعمال العالمية، ولهذا لم يُسمع عنه قط أنه يصطدم بالآخرين، فقد كان الطريق يُخلى أمامه، عادة. لم يكن النفوذ والثراء والذكاء، فقط، ما كوّن حوله تلك الهالة، وإنما هناك شبابه، فهو في منتصف الثلاثينات من العمر، ووسامته التي كانت تتجلى في قامته الطويلة وشعره الفاحم وملامحه الشبيهة بملامح الصقر، هذا بالإضافة إلى تفهمه وشخصيته المؤثرة ما جعل المجلات النسائية ترشحه بالإجماع لمنصب (أعزب أميركا رقم واحد).

وكان من المحتمل أن يبقى ماركوس كذلك. ولمَ لا؟ وما خبرته في الحياة العائلية سوى كارثة. وكفل الزمن الذي أمضاه في الجيش تعليمه الولاء والصداقة. لكن الولاء والصداقة انتهيا بشكل مأساوي. وهكذا أصبح ماركوس بنسون رجلاً وحيداً في حياته.

ذلك كان قبل أن يعرف بيتا أوشاناسي. وأطفال بيتا، وكلابها، وبقراتها، ومأساتها. لكنه لم يكن يرى ذلك الآن، كل ما رآه هو طفلة ذكرته بسندريللا، بشكل غريب.

ولكن على سندريللا أن تكون الآن في مطبخ بيت أسرتها توقد النار. جائعة، أليست هكذا تسير الحكاية؟ الحكاية لا تقول أبداً إن سندريللا كانت تجلس على فسحة سلم النجاة من الحريق في نيويورك، تتناول غداءها.

لعل ماركوس افترض عدة أمور. افترض أن هذه هي سندريللا، تتناول

طعام الغداء. بينما، في الواقع، كل ما رآه ماركوس هو شراباً أصفر مُهرقاً، وحبوباً متناثرة، وفتاة هزيلة رثة الملابس كستنائية الشعر. ولهذا، ربما هي ليست سندريللا.

من هي إذن؟ طفلة شوارع؟ إنها تلبس «شورت» وقميصاً قطنياً رثاً و«صندلاً» مهترئاً، ولهذا، أول فكرة أخذها عنها هي أنها متشردة.

ما شعر به بعد ذلك هو الفزع عندما فقدت هذه المتشردة توازنها وتدحرجت مع غدائها، على السلم إلى الفسحة التالية.

كان مسرعاً للغاية، إذ لم تكن ساعات النهار تكفي ماركوس بنسون. هناك أناسٌ بانتظاره.

عليهم أن ينتظروا إذن، فقد دحرج لتوّه طفلة على السلم وهي الآن مكوّمة على الفسحة التالية وقد بدا عليها وكأنها لا تفكر بالذهاب إلى أي مكان.

مدة انزلاقها على السلم بدت له دهراً، فيما لم تتعدَّ، في الواقع ثانيتين أو ثلاثة. وما هي إلا لحظات، حتى كان ماركوس يزيح الضفائر اللامعة عن وجهها، محاولاً أن يرى الإصابة، ومرة أخرى، كان عليه أن يعيد التفكير. لم تكن شريدة شوارع... ولا أي شيء يعرفه.

إنها نظيفة، بكل تأكيد، وكانت مغطاة ببقايا الحبوب، وشراب الحليب والبيض، لكن شعرها الكث كان ناعماً، كما كانت ملابسها تفوح برائحة الصابون تحت ما سببه لها من قذارة، كما كانت...

فاتنة؟

فاتنة حتماً! ولم تكن طفلة.

ربما هي في العشرين تقريباً... وكانت عيناها مغمضتين لكنه شعر بأنها لم تكن في غيبوبة فالإرهاق هو ما يجعلها تغمض عينيها وليس الألم والصدمة. وكان هناك ظلال داكنة تحت عينيها. كما أنها نحيلة... نحيلة للغاية.

ورسخ في نفسه انطباعه الأول عنها. إنها سندريللا! فتحت عينيها، وكانتا خضراوين واسعتين... فيهما عمق وتساؤل... ومليئتين بالألم.

- لا تتحركي.

قال لها هذا بسرعة فسّمرت عينيها في وجهه متسائلة ثم همست بعجب:

«غريب».

- غريب؟

فكرت قليلاً، ثم قالت: «حتماً هذا غريب».

لم تتحرك، بل بقيت مستلقية على الفسحة المصفحة بالفولاذ وكأنها تحاول أن تتفهم إحدى المصائب التي تحل بها عادة. وقالت: «أظنني أهرقت شراب الحليب والبيض... أليس كذلك؟».

فنظر إلى بقية درجات السلم: «آه، نعم. بكل تأكيد».

- وحبوبي؟

كانت لهجتها إسترالية، فيها رنين دافئ، وارتعاشة خفيفة... أتراها نتيجة صدمة؟ ألم؟

لكنها قلقة على الحبوب، طعامها. وابتسم لهذه الفكرة. ما دامت قلقة على ذلك، فهذا يعني أن ليس بها إصابة تهدد حياتها.

فقال: «أظن الحبوب تناثرت على الأرض. لقد تحوّلت الآن إلى صواريخ قاتلة».

فأغمضت عينيها مرة أخرى ما أكدَّ له بأنها مرهقة للغاية: «عظيم. أستطيع أن أتصور عناوين الصحف. استرالية تقذف نيويوركياً «بجيلي». ملغوم بحبوب «الباجل»... وقد يرسلوني إلى السجن في أول طائرة وذلك بدعوى الإرهاب».

- ما هذا الكلام؟

كان هذا كثيراً على ماركوس بنسون الذي لا يسمح لنفسه قط بالتورط في أي أمر. ووضع يده على خدها يخفف عنها. لقد ألقى بها من فوق السلم. لقد أتلف غداءها... وها هي ذي تحاول أن تحوّل الأمر إلى مزاح.

قال: «ما رأيك في أن يدفع عضو غبي في شركة بفتاة استرالية إلى الطابق السفلي؟».

فتحت عيناً واحدة ونظرت إليه بحذر: «أتعني أن بإمكاني أن أقاضيك؟».

- على الأقل لأجل ثمن غدائك.

منحته ابتسامة رائعة... فتّاكة. كانت عيناها داكنتي الخضرة وكانتا

تغمزان باستمرار وكأن ذلك عادة فيهما. وفكر في أنها ليست في العشرين من عمرها، بل ربما، بابتسامة كهذه، هي أكبر سناً...

لم ير ابتسامة مثلها قط. لكنه لا يستطيع أن يتوقف ليفكر في ابتسامة امرأة، أو ربما لا ينبغي له ذلك. كان مستعجلاً وهذا ما حدا به إلى استعمال سلم الحريق، فقد تعطل المصعد في آخر لحظة ولا شك أن مساعدته تنتظره في الشارع ناظرة إلى ساعتها، ثمة صفقة عليه إبرامها.

لكنه لا يستطيع أن يترك هذه الصبية هنا.

ورفع هاتفه الخليوي: «روبي؟».

كان هذا يوماً حافلاً بالعمل حتى بالنسبة إلى مساعدته النشيطة. وردّت هي بقلق: «ماركوس؟ أين أنت؟».

- أنا على سلم الحريق، تعالي حالاً فالوضع هنا غير عادي.

وعندما أعاد الهاتف إلى جيبه كان يكبح ابتسامة عريضة. سيحتّر هذا روبي طوال الطريق إلى هنا. إنها غاية في الكفاءة، ولكن... هذا الوضع على سلم الحريق هو غير عادي حتى بالنسبة إلى روبي.

وبانتظار وصولها، ينبغي أن يركز اهتمامه على الفتاة.

سألها: «هل أصبت بضرر؟».

رآها تنظر إليه الآن مباشرة. وكانت قد انقلبت على ظهرها، وتملكته رغبة غير عادية بان يتلمس كاحلها بيديه... لكنه ردع نفسه، فهذا أمر شخصي وهو يختص بروبي. ولكن يبدو أن الصغيرة لم تكن تريد رعايته بقدر ما كان هو يتمنى أن يقدم لها. فقالت بأدب: «شكراً لسؤالك لكنني بخير ويمكنك أن تذهب الآن».

فطرف بعينيه: «يمكنني أن أذهب؟».

- كنتَ مستعجلاً وأنا كنت في طريقك، صحيح أنك سحقت علبة «الجلي»، وأهرقت مزيج الحليب والبيض وآذيت كاحلي، ولكن لا بأس فالذنب ذنبي، فأنا التي...

- هل تأذى كاحلك؟

- هذا ما يبدو.

تأملها بنظرة شاملة، كانت ساقاها طويلتين ناعمتين لوحتهما الشمس

بالسمرة. إنهما ساقان رائعتان ولا تتلاءمان أبداً مع حذائها الرث الذي يبدو وكأنها أحضرته من مركز الصدقات.

لم يكن الحذاء هو الشيء المزعج الوحيد الذي لاحظه، كان هناك الكاحل الذي كان ينتفخ وهو ينظر إليه.

- سحقاً.

- هيه... أنا المفروض أن أشتم. لماذا لا تبتعد من هنا كي أستطيع ذلك؟

- لا تدعيني أمنعك من ذلك.

- السيدة المحترمة لا تشتم في حضور سيد محترم.

قالت هذا وهي ترفع كاحلها لتراه، فأجفلت. إنها غلطة، وأنزلت الكاحل بحذر. ولكنها ما زالت مصممة على الانتقال من مكانها رغم الألم.

- أنا قد لا أبدو سيدة محترمة لكن البذلة التي ترتديها تجعلك كذلك. إنها أفخم بذلة «جنتلمان». رأيتها في حياتي.

جعله كلامها عن شخصه ينظر إلى بذلته الغالية الثمن.

- أنا آسف حقاً.

فأومأت وكأنها تنتظر اعتذاره هذا.

- كنت أتساءل متى سنأتي على سيرة كاحلي.

لم تكن لهجتها فقط هي غير العادية، بل كل ما يتعلق بها. كانت تتألم وإلى حد بعيد، لكنها لم تظهر ذلك. استطاع أن يرى هذا في عينيها. وسألها: «هل كاحلك وحده هو المصاب؟».

- أليس ذلك كافياً؟

- أظن ذلك، فقد كانت السقطة قوية.

لمس قدمها وأخذ يجسّها بخفة فآلمها ذلك فقال: «كان ارتطامك بالأرض عنيفاً».

- هذا ما أظنه. لكنني بخير. دعني أتحسسهُ بنفسي.

ومع أنها كانت تحاول التخفيف من حدّة الأمور، كانت كلماتها تخفي الكثير من المرارة، رغم محاولتها الابتسام.

- قد يكون كاحلك مكسوراً.

– نعم. فمع هذا الحظ العاثر...

قطعت كلامها ونجحت في أن تبتسم مرة أخرى وهي تقول: «ولكن لا تقلق. لو كان مكسوراً لكان الألم اكبر».

– أيمكنني أن أساعدك هناك في الداخل؟

وأشار بيده إلى الباب الذي جاء منه لتوّه.

رفعت بصرها إليه بسخرية مشككة: «إلى مكتب «تشارلز هيغنز»؟ لم تسمح لي أتيلا بأن أجلس على أريكتها لأتناول غدائي، فهل تظنها تسمح لي بالجلوس الآن بعد أن تبلّلت ثيابي بالحليب المخفوق مع البيض؟».

فقال بصوت مرتعش قليلاً: «لا أظن ذلك».

أتيللا... إنه يعرف بالضبط من تتحدث عنه. إنها سكرتيرة تشارلز هيغنز.

– هل كنت تنتظرين رؤية هيغنز؟

– نعم.

وكان يعرف تشارلز هيغنز، ذلك الرجل البالغ الغرور، الذي يتصف بأخلاق جرذ المجاري، ذلك أن ماركوس اضطر إلى إشراكه معه في استعمال غرفة مغاسل ومراحيض شركته طوال الأسابيع القليلة الماضية. بسبب الإصلاحات والتجديد الجاري في المكان، والتي سببت تعطل المصعد الآن، ولم تتعدَّ علاقتهما هذا الحد. فللرجل سمعة سيئة لجهة التعامل اللاأخلاقي والحصول على المال بطرق مشبوهة.

كان ماركوس صاحب هذا المبنى، ولا يعني تأجيره قسماً منه لهيغنز، بأن الرجل يعجبه.

مضت لحظة لم يستطع فيها أن يفهم نوع العمل الذي يجمع بين هذه الفتاة ومحام مثل هيغنز.

– هل لديك موعد؟

– في العاشرة هذا الصباح. منذ ثلاث ساعات.

كانت لا تزال مستلقية على فسحة السلم، وهي تجس كاحلها: «لكن أتيللا بقيت تماطل حتى شعرت، أخيراً، بالجوع، فخرجت وأحضرت غداءً. لكن أتيللا أخبرتني بأن عليّ أن أتناول الغداء هنا، خارج المكتب».

أصبح الأمر مفهوماً. سكرتيرة هيغنز، المرأة التي لا يعرف لها عمر، وذات صدر أشبه بالدرع، كانت سمعتها أسوأ من سمعة هيغنز نفسه.

«أتعلمين...». كان تبادلهما الحديث أمراً جنونياً، فروبي قد تصل في أية لحظة وتنقذه منها، ولكن لعله يسديها في هذه الأثناء نصيحة تنفعها: «أتعلمين شيئاً، إذا كنت تريدين أن تتحدثي إلى محاميّ نيويورك المتنفذين، فالسروال القصير والقميص القطني المقفل والحذاء الرث ليست ملابس لائقة لذلك».

– رث...؟ أتقول إن حذائي رث؟

– نعم، وليست كلمة رث سوى وصف مؤدب.

قال هذا بحزم وكادت تبتسم مرة أخرى ولكن ليس تماماً. فقد كانت تعاني ألماً حقيقياً. أين ذهبت روبي يا ترى؟

وكانت تقول: «إنه حذاء عمتي».

– هم... جيد!

– إنها ميتة.

قالت الفتاة هذا وكأنه يوضح كل شيء. لكنه لم يكن كذلك. وكان عليه أن يقول شيئاً.

– آه.

قال هذا فابتسمت فعلاً هذه المرة.

– لقد أحضرت معي مجموعة من الملابس، فأنا لست غبية، لكنني جئت من أستراليا. جئت مسرعة لأن عمتي كانت تحتضر، لكنني أحضرت ملابس لائقة، ولسوء الحظ، لم تهتم شركة الطيران بها.

– لم تهتم بها؟

– وضعت ملابسي في الطائرة في سيدني حين ركبت الطائرة من هناك. وعندما نزلت من الطائرة هنا، كان واضحاً أن حقيبتي فُقدت في مكان ما بالقرب من هاواي.

– ألم تفكري في شراء أشياء أخرى؟

وكان سؤاله هذا غلطة. لكنه رأى الآن من الغضب في عينيها ما جعله يتراجع خطوة.

– أجل، إدفع النقود فتحلُّ المشكلة، طبعاً، ولماذا وجدت النقود؟ مثل تشارلز تماماً. أترك أمك مع بيتا حتى تضمن أنك ستحصل على الميراث، وعند ذلك تنقلها إلى الجانب الآخر من العالم، وفي درجة رجال الاعمال للتوفير. وعندما تشرف على الموت، ورغم قدرتك على الإنفاق عليها، لا تفعل لكنك لا تريدها، فترسلها إلى أحد بيوت الراحة بعد أن تحرص على أن تغيّر وصيّتها أولاً...».

وعضّت على شفتها وبدا على وجهها ألم مخيف.

– همم... أنا يتيم الأم.

فازداد غضبها: «طبعاً ليس لديك أم. أنا لم أكن أتحدث عنك بالذات وإنما عن الناس جميعاً ممثلين بشخصك».

– أتصنفينني في فئة معينة؟

– نعم!

– فهمت.

لكنه لم يفهم. في الواقع، لم يفهم ما الذي يجري، فهو بحاجة إلى فرصة ينظم فيها أفكاره. وأخيراً سألها: «من هي بيتا؟».

– أنا بيتا.

– أنت بيتا؟ أهلاً. أنا ماركوس.

لكنها لم تشأ أن تحوّل اهتمامها عن الموضوع: «لا أريد تعارفاً رسمياً، لأن غضبي لم يبرد بعد».

فرفع حاجبيه: «آسف. ولكن... بيتا؟».

فقالت بحدة: «كان أبي يريد ابناً ذكراً. هل لك أن تصمت ريثما أنفّس عن غضبي؟ أنت وتشارلز وأتيللا من المعدن ذاته. أنت تظن لأنني لا أرتدي بذلة غالية الثمن لا أفهم في ذلك؟ نعم، مهما كان استعلاؤك، فأنا لست من الغباء بحيث لا أدرك الأمور، وأنني لن أرى تشارلز أبداً. لقد أنفقت كل نقودي على رعاية هاتي ودفنها، فإذا لم أستطع مقابلته...».

وأخذت نفساً عميقاً بعد أن عجزت عن إخفاء الألم والصدمة اللذين تملّكاها في الدقائق الأخيرة. فالبركان قد انفجر بحيث استحال اخفاء اية

مشاعر.

وهمست: «هذا غباء... إنك لا تناقش، وعلى كل حال، لديك سكرتيرة مثل أتيللا ما عليك إلا أن تلتفت إليها. حتى ولو هددتك بإقامة دعوى ضدك، فستطلب منها أن تتصرف، وتبقيني بعيدة عنك».

– أنا لن أفعل..

– سيد بنسون!

جاء هذا الصوت من خلفهما وكانت هذه روبي. مساعدته الهادئة المتزنة التي يسلّمها مشاكل الحياة وصعابها، وما يتعلق به شخصياً. وقالت روبي تسأله برقة: «هل هناك مشكلة، يا سيد بنسون؟ كيف يمكنني أن أساعد؟».

كانت روبي رائعة. إنها في أواخر الأربعينات من العمر، أفريقية أميركية متزنة في لباسها وأناقتها، تحيط بها هالة تمنح الناظر انطباعاً بأنها أم أو خالة، بينما هي ليست كذلك. كما أن ليس لديها أية مؤهلات في مجال السكريتاريا، كانت مجرد موظفة مغمورة في إمبراطورية ماركوس المالية الواسعة عندما عثر عليها بطريق الصدفة تقريباً وذلك منذ سبع أو ثماني سنوات. كان ماركوس يحاول أن يتفاهم مع وفد ياباني، ومجموعة من المحامين وحشد من الصحافيين والمصورين ما جعل سكرتيرته تنهار تحت الضغوط.

دفعه اليأس إلى المكتب الخارجي طالباً أي شخص، أي شخص يمكنه أن يتكلم ولو شيئاً من اللغة اليابانية، ودهش هو يرى روبي تقف بتثاقل. كانت تعلمت شيئاً من اللغة اليابانية في مدرسة ليلية، كما أخبرته، فلم يتوقع منها شيئاً. ولكن، ما الذي حصل عليه؟ في أقل من عشرين دقيقة سحرت رجال الأعمال اليابانيين ونظمت مكاناً لغداء عمل... وكانت تدوّن الملاحظات بهدوء بينما ماركوس يتصرف مع المحامين. وإزاء ما بدا عليه من ذهول اقترحت عليه أن يكافئها بترقية.

وكانت ترقيتها عملاً صائباً. فهو لم يبحث بعدها قط عن مساعدة أخرى. إنها تساوي ثروة. والآن، بعد أن قيّمت الوضع بنظرة شاملة، أدركت ما يريده ماركوس وتقدمت لتنفيذ ذلك. وقالت للفتاة: «إذا كان السيد بنسون قد سببّ لك أذىً، فسنقوم بكل ما في وسعنا لإصلاح ذلك. إن لديه موعداً في هذه

اللحظة عليه أن يذهب إليه، ولكن بإمكاني أن أساعدك».

وألقت على ماركوس نظرة متسائلة... نظرة يفهمانها، هما الإثنين... تسأله بها عما إذا كانت هذه حالة تستدعي منها التعاطف، فأوماً باسماً... الإيماءة الباسمة، في لغة ماركوس، تعني اللطف والكياسة.

وكان ماركوس يعني ذلك تماماً، فقد كان يشعر حقاً بالذنب.

وكانت روبي تقول للفتاة: «سآخذك إلى المستوصف المحلي ليرى الطبيب كاحلك، وسنعطيك ملابس بديلة، كما سأشتري لك وجبة طعام لذيذة ثم أرسلك إلى بيتك في سيارة أجرة، هل هذا حسن؟».

ارتاحت ملامح ماركوس. لقد أعجبه هذا ولا شك. بقي ذلك الشعور الضئيل بالذنب لكن روبي كفيلة بمحوه.

جلست بيتا بصعوبة وهي تقول: «شكراً».

ثم أخذت تنقل نظراتها بين روبي وماركوس وقد عاد وجهها مغلقاً لا يبدي ألماً ولا غضباً...

- شكراً، لكنني لا أريد أية مساعدة.

قالت هذا لروبي بنظرة سريعة إلى ماركوس وكأنها تقول: نعم... ألم تكن على حق؟ ها هي ذي سكرتيرته مستعدة لأن تكنس مشاكله إلى تحت السجادة... قالت نظرة بيتا إنها تعرف بالضبط أي نوع من الرجال هو ماركوس. إنه النوع الذي، عندما يصادف صعوبة، يكلف بقضائها شخصاً مقابل أجرٍ ما.

وقالت لهما: «أنا لن أرفع دعوى، ومشكلتي ليست من شأنكما. لدي موعد مع السيد هيغنز. فإذا خرجت الآن سيقول إنني تخلفت عن موعدي وهذا ما لا أستطيع القيام به. وهكذا، شكراً لأنني سأبقى هنا. وسواء كنت قذرة الملابس أم لا، لا أستطيع أن أغامر بخسارة هذه الفرصة».

فقالت روبي بجرأة: «سيرفض السيد هيغنز أن يراك بهذا الشكل».

وقال ماركوس وقد توترت ملامحه: «سبق وأخبرتها بذلك، وأشك في أنه سيقابلها بأية حال».

زمّت روبي شفتيها: «ولكن إذا كان لديها موعد...».

- أنت تعرفين تشارلز، روبي، فهو لن يسمح لبيتا بالاقتراب من مكتبه وهي بهذا الشكل».

فقالت بيتا لهذين اللذين يتحدثان عنها: «هيه... عفواً، هل يمكنني أن أشارككما الحديث؟».

قطب ماركوس جبينه: «طبعاً».

واتسعت عينا روبي، إذن، الطفلة الشريدة ليست ضحية!

- إنه مضطر لأن يقابلني لأن لدي موعداً معه.

فقال ماركوس: «الموعد مع تشارلز لا يعني شيئاً إذا ظن أنك لن تدفعي له... وبسخاء».

فكررت قولها: «إن عليه أن يراني، فأنا ابنة خاله».

ساد الصمت فترة سألتها روبي بعدها: «تشارلز إذن هو ابن عمتك؟».

فأومأت بيتا لكنها لم تبد مسرورة تماماً لذلك: «نعم، لسوء الحظ».

فقال ماركوس دون أن يفهم: «وعليك أن تأخذي منه موعداً؟».

- نعم.

- ستتأخر عن موعدك، يا سيد بنسون.

قالت روبي له ذلك تنبهه، لكنه سمع ما يكفي.

القول بأنه لا يحب تشارلز هيغنز ليس دقيقاً، فقد كان يكرهه لأن صيته في المدينة سيء جداً. وقد استأجر، هو ومساعدوه، مكاتب لهم في هذا المبنى عندما كان ماركوس في رحلة في أوروبا. وقد انزعج جداً لأن هذا الرجل حصل على عقد إيجار لمدة عام كامل. وهو يبحث الآن عن أقل عذر ليخرج هيغنز من هذا المبنى. وسنحت له الآن فرصة لذلك، لكنه، في نفس الوقت، كان يعلم أن الفتاة لن تحصل على شيء منه.

وكذلك كان رأي روبي، كما رأى من تعابيرها. وهكذا، أفضل ما يمكنهما فعله لهذه الفتاة، هو تنظيفها وإطعامها وإيصالها إلى بيتها.

ولكن... لقد سبب لها الأذى... جعل حياتها الصعبة الآن مستحيلة. إنه يرى ذلك، فقد كان في عينيها يأس حقيقي.

وتوقعت منه أن يتركها بين يدي مساعدته.

اللعنة. . . لا يمكنه أن يفعل ذلك. . . لا يمكنه. . .

– روبي. هل يمكنك إعادة تنظيم مواعيد عصر هذا اليوم؟

قال هذا بصعوبة وكأنه لا يصدق ما يقوله، دون أن يهتم بأن هذه الاتفاقية التي سيعقدها هذا النهار قد يكلفه إلغاؤها عشرات الألوف، لكنه لم يستطع أن يتفادى ذلك. هكذا هو ماركوس عندما يقرر أمراً، وقد قرر الآن ما يريد.

– إذا أمكنك أن تؤخري المواعيد بضع ساعات، فسآخذ بيتا إلى هناك بنفسي.

وعندما رأى حاجبي روبي يرتفعان أطبق أسنانه بحزم: «سأواجه تشارلز هيغنز معها».

– أنت. . .

لم يكن يشك في رأيها فيه، كانت لا تزال جالسة بينما ماركوس وروبي يتحدثان فوق رأسها. كانت لا تزال. . . أشبه بمتشردة؟ بشعرها الكستنائي المشعث المتناثر حول وجهها، وأنفها المغطى بالنمش ما زال ملطخاً بالجيلي. حدقت إليه ففكر بأسى في أنها ربما تعتبره تشارلز هيغنز نفسه. وتساءل عما إذا كانت البذلة الغالية الثمن هي السبب، أم أنه وجود مساعدته؟ ومظاهر النفوذ والسلطة. . .؟ مهما يكن، لا شك في أنها تنظر إليه بازدراء.

– لِمَ لا؟

أخذ ينقل نظراته بين المرأتين اللتين كانتا تنظران إليه وكأنه فقد عقله.

وقالت روبي بشبه ابتسامة: «إنها فكرة سديدة».

– أعلم هذا، وأنا واثق من أنك ستجمدين الأمور إلى حين عودتي.

– ومتى سيكون ذلك؟

– بعد ساعتين.

– فلنمنحك فرصة حتى الغد. فعليك معالجة الكاحل وشراء الثياب وربما تستغرق مواجهة المحامي وقتاً أكثر مما تظن.

قالت روبي هذا له ضاحكة فقال بضيق: «همم. . . قد تأخذين علاج الكاحل وشراء الملابس على عاتقك، فأدخل معها في هذه الاثناء إلى مكتب تشارلز».

هزت روبي رأسها ذاهلة غير موافقة: «لا، لا يا سيد بنسون، لا يمكنني القيام بذلك. إنها لفتة ممتازة منك ولا حق لي في أن أستلمها أنا».

– روبي. . .

فقاطعتهما بيتا وهي تحبس أنفاسها بكرامة: «هيه. . لا حاجة بكما لأيّ من هذا. سبق وقلت إنني لست بحاجة إلى مساعدة».

فقال ماركوس: «إذا كنت تريدين أن تقابلي تشارلز، فأنت، إذن، بحاجة إلى مساعدة».

وأومأت روبي موافقة: «إقبلي هذه النصيحة، يا آنسة. هل أنت أسترالية؟».

– نعم، ولكن. . .

– لو كنت أنا في استراليا إذن لقبلت نصيحتك بالنسبة إلى التصرف في بلدك، ولكن هنا أميركا، الولايات المتحدة، وليس هنا من هو أكثر إطلاعاً على نواحي هذه البلاد من ماركوس بنسون. أنصحك بأن تتعاوني معه.

– لا أريد التعاون مع أحد.

فقال لها: «أتظنين حقاً أن بإمكانك أن تحصلي على ما تريدين من دوني؟».

فقالت متلعثمة: «في الحقيقة. . .».

– في الحقيقة، ماذا؟

– في الحقيقة لا أظنني سأحصل على ما أريد على كل حال. كان حضوري إلى هنا حماقة، ولكن كان عليّ أن أحاول.

فقال برقة: «ما دمت جئت من ذلك البلد البعيد، لماذا لا تستغلين كل فرصة سانحة؟ خذي بنصيحتي».

– أن أضع نفسي بين يديك؟

– نعم.

حدّقت إليه متأملة، فنظر إليها بدهشة. كانت عيناها لامعتين متحديتين، وذقنها يوحي بالتمرد. ربما تبدو مسكينة معتوهة، لكنها ليست كذلك أبداً، فقد كان يعجبه فيها الحيوية والشجاعة. كما أنها تعلم متى عليها أن تسلّم بالأمر، فبلعت ريقها: «نعم. لا بأس».

ابتسمت روبي، ويبدو أنها كانت تستمتع بالأمر. فقالت لها: «افعلي بالضبط ما يقوله السيد بنسون».

فابتسمت الفتاة بأسى: «لست ماهرة تماماً بتنفيذ ما يطلبه مني الآخرون».

- كوني لبقة إذن. وربما سيكون هذا في مصلحتكما، معاً.

قالت روبي هذا لها ضاحكة وهي تتابع: «أما أنا فسأذهب لأنقذ اتفاقيتك يا ماركوس... بينما تواجهان أنتما تشارلز الفظيع ذاك، حظاً سعيداً».

* * *

- أممم... هل هي موظفة عندك؟

سألته بيتا هذا عندما توارت روبي أسفل السلم وهي تلوّح له بمرح. لقد جاءت روبي متعبة، وها هي الآن تهبط سلم الحريق قفزاً بينما هو ينظر إليها.

- لقد حصلت على روبي مصادفة.

فقالت وقد بدا عليها الاهتمام فجأة: «أنت تودّها كثيراً».

- لا مكان لدي للمودّة، فأنا رجل أعمال.

- وإذا أرادت روبي أن تترك العمل...

- سأنزل السماء على الأرض لأبقيها معي.

كان هناك كاحلها، لكنها قررت أن تتجاهله.

- لا مشكلة بالنسبة إلى كاحلي. إنه مجرد رضّ بسيط.

- لقد انتفخ كاحلك ونحن ننظر إليه.

- سبق وتعرضت لأسوأ من ذلك. ولم أذهب إلى طبيب. لقد جئت من مكان بعيد جداً ووقتي أهم من أن أضيعه في غرفة الانتظار في عيادة طبيب.

- ليس عليك أن تنتظري. ضعي يديك حول رقبتي وأنا أحملك.

- أنت تحملني؟ هل أنت مجنون؟ سيتملكني الأسف على نفسي لالتواء كاحلي، لكنك ستصبح أعرج طوال حياتك.

- بإمكاني أن أحملك.

- لا يحملني أحد أبداً.

وقفت مستندة إلى الكرسي، ثم حجلت مرتين على قدم واحدة.

وكان الألم لا يطاق!

- بيتا...

- لا.

- بل سأفعل.

تقدم نحوها، ورغم أنه لم يفعل شيئاً كهذا حياته، حملها بين ذراعيه. وكانت خفيفة الوزن للغاية. فسألها ذاهلاً: «ألا تأكلين أبداً؟».

فتململت ساخطة: «هل تمزح؟ أنا آكل طبعاً، إلا حين يلقي رجل أعمال بغدائي من قمة السلم. أنزلني».

- لا.

كانت رائحتها حلوة... وكذلك الشعور بها... بين ذراعيه.

يا للتفاهة... والمشاعر الغبية... لكنه لم يستطع منع ذلك...

- هل سنستقل المصعد؟

نظر إلى عينيها الملتمعتين: «بل السلم».

- أنت ستوقعني.

- لن أوقعك.

- سأسبب لك ضرراً أكبر لو وقعت على شخص ما في الأسفل.

- لن أوقعك.

- لم يحملني أحد من قبل قط.

قالت هذا، ولدهشته، كفّت عن التذمر واسترخت فجأة: «لا بأس، فلنفعل هذا، فربما يعجبني».

- ربما.

- وإذا انفجر فيك أحد الأوعية الدموية فلا بأس. نحن ذاهبان إلى قسم الطوارئ على كل حال.

فقال وهو يغمرها بقوة بين يديه: «هذا صحيح».

* * *

لقد أثارت فضوله، لا سيما حين رأت سيارته. وكان سائقه روبرت ينتظر في الشارع. لا بد أنه تلقى تنبيهاً مسبقاً من روبي؛ إذ لم تطرف عيناه عجباً حين رأى سيده يقترب وبين يديه فتاة غريبة. وعندما وصل ماركوس إلى السيارة،

كان باب المقعد الخلفي قد فُتح.

لكن بيتا لم تكن مستعدة لدخول سيارة الليموزين السوداء ذات الزجاج القاتم.

- رباه... لن أدخل هذا الشيء.

- تبدين وكأنك فتاة قروية.

فحملقت فيه: «نعم، حسناً، وأنت تبدو وكأنك رئيس مافيا. أنا أعرف ما أفضّل أن أكون. أما سائق خاص، سيارة ليموزين، زجاج قاتم! لا ترغمني على ذلك إكراماً لله».

- أنا أردتها هكذا، فهذه السيارة لعملي.

- حسناً...

وترددت، وأنزلت ذراعيها من حول رقبته، فتملكه لذلك شعور حاد بالخسارة. كانت وضعت ذراعيها حول رقبته منعاً لسقوطها، فشعر لذلك بمتعة، لكنها لم تكن تفكر بما يشعر، إذ كان لها تصوّر خاص: «ما يدريني إذا دخلت السيارة ماذا ينتظرني داخلها؟».

هذا يكفي! ونادى سائقه: «روبرت، ساعدني في وضعها في السيارة... وبالقوة إذا اضطررت. ثم افتح النوافذ. رئيس مافيا..؟ يا للمصيبة!».

ووصلا إلى المستوصف، المخصصة خدماته لكبار أغنياء نيويورك وحسب.

قالت: «ما إن يدخل المريض حتى يستقبله الطبيب».

كانا ينتظران صور الأشعة.

- طبعاً.

فقالت بحدة: «ليس ثمة (طبعاً) بالنسبة لهذا. لو كان حصل لي هذا عندما كانت هاتي حية، هل كان تشارلز ليتحمل، مادياً، الحضور إلى مثل هذا النوع من الأمكنة؟».

- نظراً لبدل الايجار الذي يدفعه، فإنه يتحمل ذلك.

- سأقتله.

وبقيت محملقة غضباً طوال الوقت الذي استغرقه وضع الضماد على كاحلها.

- من حسن حظك أن الكاحل غير مكسور لكن الرضّ سيء للغاية. لا تسيري عليه، ستزودك الممرضات بعكازتين.

قال لها الطبيب ذلك لكنها كانت لا تزال غاضبة بينما ماركوس صامت بجانبها، وازداد غضبها عندما دفع ماركوس الأجر فيما هي تمشي كالعرجاء نحو مكتب الاستقبال.

- أنا سأدفع.

- أنا واثق من أنه لن يمكنك ذلك، لأنني من سبّب الاصابة.

بقي هناك مسألة بسيطة، شراء الملابس، وعندما عادت بيتا تستقر في السيارة الليموزين، طلب ماركوس من روبرت أن يوصلهما إلى الشارع الخامس.

- أنا فقط بحاجة إلى غسل يدي ووجهي وأصبح على ما يرام.

لكنه هز رأسه: «لا. لن يسمح تشارلز لك أبداً بدخول مكتبه وأنت بهذا المنظر».

- ولكن...

- ولكن لا شيء. من الغباء العودة إلى هناك الآن لانتظار مقابلة لن تحصلي عليها أبداً. دعيني أساعدك.

أن يساعدها أكثر من ذلك... لم يصدق أنه يقوم بشيء كهذا. أتراه جنّ؟ إنه لم يتورط بهذا الأمر. إنه لا يتورط أبداً، وبالتالي ليس مضطراً إلى أن يعرض عليها... وهي لا تنتظر منه شيئاً، ويمكنه أن يتراجع مبتعداً عنها في هذه اللحظة. كما أنه لن ينال شيئاً من وراء هذا لأنه لن يسمع عنها أبداً مرة أخرى.

لكنه لا يستطيع، وحدّق إلى ملامحها المتمردة، فرأى خلف هذا التمرد أثراً من يأس. ومنعه هذا من تركها، بأي شكل.

إنه يريد أن يساعدها مهما كان الأمر. ولأول مرة خلال كثير من السنين، يرغب ماركوس بنسون في أن يتورط.

٢ - الحل المستحيل

كان ماركوس يظن أنه يعرف النساء جيداً. لكنه كان مخطئاً تماماً كما أخطأ في إدخال بيتا إلى ذاك المتجر.

كانت إحدى صاحباته قد أخبرته بأن هذا المتجر يحتوي على ثياب عمل أسطورية، لكن بيتا دخلت وهي تحجل، ثم أخذت تنظر حولها بارتياب. ووصلت إليها البائعات وهن يبتسمن لماركوس، ويتصرفن نحو المتشردة التي يسير هو في أثرها، بأدب ممزوج بالحذر والاستعلاء.

لم يكن لدى ماركوس وقت لذلك. سأل البائعة: «هل لك أن تري بيتا ثوباً عملياً مناسباً؟».

فنظرت إليه بيتا بغيظ: «هذا يجعلني أبدو كدمية تُقاس لها الأثواب».

- ألا تريدينني أن أساعدك؟

- لا.

وعندما أخذت العاملة تبحث عن شيء مناسب، ألقت بيتا بنظرة فيها شيئاً من الاعتذار، لكنها لا تخلو من التمرد: «أنا أعلم أنك بالغ الشهامة بينما أنا بالغة الغباء، لكن هذا يبدو لي... خطأ».

- بل هو معقول. هيا!

وقالت لها البائعة وهي تمنح ماركوس ابتسامة متألقة: «جربي هذا!».

وأمسكت بالثوب أمام جسم بيتا، تتوقع قرار ماركوس. وربما كان سيفعل لولا أن بيتا نظرت إلى بطاقة الثمن المعلقة بالثوب، ثم صرخت نائحة. ولم يتذكر ماركوس أنه سمع قط من قبل نواح امرأة، بينما أزاحت بيتا الثوب بعيداً عنها ثم نظرت إليه وكأنه فقد عقله: «هل أنت مجنون؟».

- ماذا تعنين؟

- أنظر إلى الثمن! لا يمكنني دفعه.

- سبق وأخبرتك أنني أنا الذي سأدفع لأنني أنا من أتلف ملابسك.

- نعم، أنت أهرقت الشراب على قميص بخمسة دولارات لتشتري بدلاً منه ثوباً بثلاثة آلاف دولار؟ ثلاثة آلاف دولار! أنظر. أنت قمت بما فيه الكفاية، وأنا لا أستطيع أن آخذ أكثر من ذلك. هل يمكنني الخروج؟ الآن؟

وأخذت تتراجع نحو الباب.

- لن تستطيعي مقابلة تشارلز.

قال لها هذا منبهاً وهو يرى صراع المشاعر المختلفة على وجهها، فشعر بدوره بالشيء نفسه. رأى أنه كان يستمتع بذلك. لم يكن تمثيله دور المحسن نحو متشردة جذابة للغاية بالأمر السيء. ولكن كان يفترض بهذه المتشردة أن تكون شاكرة وهي تبتسم بعذوبة وإذعان.

تحوّل صراع المشاعر على وجهها إلى استياء بالغ وهي تتمتم: «أنا فقط أريد أن أعالج الأمر مع تشارلز على طريقتي الخاصة».

- لكنك وافقت على شراء ملابس.

- كنت غبية. لا بد أنني صدمت رأسي عند سقوطي عن السلم، ووجدت نفسي واقفة، بشكل ما، في متجر فخم مع رجل يملك من المال أكثر مما يمكنني أن أحلم به، وهو يعرض عليّ شراء ثوب ثمنه أكثر مما أطعم به أسرتي طوال عام.

- أسرتك؟

ازدادت صلابة ملامحها واشتد الألم: «لست بحاجة إلى الحديث عن أسرتي. آسفة، عليّ أن أخرج».

واستمرت في التراجع حتى وصلت إلى الباب: «آسفة، وأشكرك كثيراً على ما فعلته لأجلي».

- بيتا...

- لا يمكنني أن أفعل هذا. لا أستطيع.

أدركها بعد هبوطها ثلاثة طوابق. حاولت أن تسرع لكن عكازيها لم يطاوعاها. لقد لحق بها... لحق بها، طبعاً، دون أن يعرف لماذا يساعدها. لكنه تركها بعيدة عنه قليلاً حتى تهدأ.

وهدأت مرغمة، لأن غضبها لم يلبث أن حلّ مكانه شعورها بالألم في كاحلها. ورآها تبطئ في سيرها وتتردد وكأنها لا تعرف إلى أين تتجه.

رأى كتفيها تنحدران بينما بدا اليأس على وجهها. وعندما أدركها وأمسك بكتفها يديرها إليه، لم يدهش حين رأى عينيها الجميلتين مغرورقتين بالدموع.

توقفت الدموع في اللحظة التي لمسها فيها، ثم تراجعت وهي تترنح بشكل خطر، فمدّ يده يسندها لكنها ازدادت تراجعاً: «دعني وشأني».

- آسف.

أبعد عن ذهنه حافزاً يدفعه إلى تمثيل دور الأب الحنون، وحاول أن يضع نفسه مكانها. كان الأمر صعباً ولكن ربما بإمكانه أن ينجح.

كان، ذات يوم، عالة على غيره هو أيضاً، فهو يعرف صعوبة أن يأخذ ولا يعطي. فقط... في السنوات القليلة الأخيرة أصبح هناك كثير ممن يأخذون.

بيتا كانت غير عادية... ولكن بإمكانه أن يتكيّف معها.

- كنت عديمة الإحساس، نوعاً ما. أنا من اقترح فكرة المساعدة.

- لن تستطيع.

فقال برقة: «أنت تعلمين أنني أستطيع، إذا سمحت لي».

ومسحت دمعها بغضب مرة أخرى: «نعم، دفع النقود، فهذا كل ما تعرف القيام به».

- آسف.

وشعر بالحرج.

- هل يمكننا أن نبدأ من جديد؟ رجاء؟

فحدقت إليه بارتياب: «نبدأ من جديد؟».

- لقد انقدت إلى هذا الوضع كالأبله دون فكرة عما يحدث. أريد أن أساعد حتى دون أن أعلم سبب رغبتي هذه.

ومد يده يلمس يدها دون أن يمسكها.

كان يعلم أنها ما زالت تريد الهرب، وكان هو نفسه يريد ذلك...

- أخبريني بما تحتاجينه، بماذا أستطيع مساعدتك، الآن.

تنفست بعمق، وتمالكت نفسها. كان زبائن متاجر «الشارع الخامس».

يروحون ويجيئون بنشاط... نساء أنيقات ورجال في بذلات العمل الأنيقة، وكان ماركوس مناسباً تماماً في هذا المكان، على العكس من بيتا تماماً. ولكن يبدو أنها لم تكن تفكر في مظهرها. حدقت إليه بنظرات طويلة، ثم أخذت تعترف وكأنها مرغمة على الاعتراف بشيء تخجل منه: «أريد أن آكل شيئاً».

- هل أنت جائعة؟

- هل نسيت أنني فقدت غدائي؟ لم أكن تناولت فطوري، وهذا كان غدائي. ثم أريد تذكرة قطار تحت الأرض إلى حيث حاجياتي موجودة. إن عليّ أن أبقى إلى غد لأحضر جنازة العمة هاتي، هذا كل ما أريده. كنت غبية لمحاولتي مقابلة تشارلز. أريد فقط... أظنني أريد الآن أن أعود إلى موطني فقط.

فأومأ: «حسناً، لا بأس. سأرتب أمر انتقالك. أما الآن، علي أن أطعمك أولاً، لا؟».

وهز رأسه عندما رآها تتراجع مرة أخرى. وابتسم بأسى، إنه يعرف الآن ما تريد. المال يجعلها تهرب، فالمال لا يؤثر عليها: «هناك مطعم جيد قريب من هنا. طعامه بسيط لكنه جيد، وهو ليس غالي الثمن. اعترفي، على الأقل، بأنني مدين لك بوجبة طعام. أيمكنك الجلوس معي مدة أطول؟».

أخذت تتأمله.

- لا بد أنك تظنني ناكرة للجميل.

قالت هذا أخيراً ففوجئ وهو يرى قولها بعيداً عن الواقع: «هذا غير صحيح. دعيني أطعمك».

- كحيوان في قفص في حديقة الحيوانات.

فابتسم: «آسف، لأن كلامي لم يكن لبقاً. شاركيني الغداء من فضلك».

- ليس باعتبار ذلك إحساناً؟

- ولا باعتباره التعويض المفروض عليّ.

حدّقت إليه طويلاً... وفي تلك اللحظة تغيّر شيء ما... لقد تراجعت صورة سندريللا... أدرك أن هاهنا قوة، وطاقة ذهنية كامنة.

كانت الأمور خارجة عن سيطرتها لكنها ما زالت تقاوم.

وانتبه إلى شعور سخيف بعرفان الجميل يتملكه وهي تردّ عليه: «شكراً، هذا

elromancia.com

يسرّني».

– وكذلك أنا.

وكان يعني ذلك تماماً.

كان المطعم الذي أخذها إليه واحداً لم يأكل فيه منذ سنوات. ورّحب به صاحب المطعم مسروراً، وهو رجل ضخم في أواخر الستينات من العمر: «إنه ماركوس العظيم وقد جاء ليشجع هذا المكان المتواضع...».

وضحك عندما زجر ماركوس بصوت خافت: «أسكت يا سام».

وأجاب: «حسناً، لمن ندين بهذا الشرف؟».

ونظر إلى بيتا وإذا بابتسامته العريضة تتحوّل إلى ترحيب: «إلى سيدة، طبعاً. وسيدة حسنة الذوق كما أشعر، أنا واثق من أنك ستتعلقين بأحد أنواع الأطعمة التي أختص بها دون أن تفكري في عدّ الوحدات الحرارية».

– وأنا واثقة من ذلك.

إزاء ملامح سام الودود شعرت بالارتياح: «أخبرني عما هو جيد».

– ما هو جيد؟ في هذا المكان كل شيء جيد. أتعرفين...؟

وألقى نظرة جانبية على ماركوس فأومأ هذا موافقاً، كان مطعم سام معروفاً في هذه المدينة وقد استحق سمعته الجيدة، فهو يحس بما يحتاجه الناس ويعده لهم.

– اجلسا وتحدثا واتركاني أهتم بوجبتكما، فهذا أفضل إنجازاتي.

تحدثا... وبدا أن ليس هناك ما يتحدثان عنه، أو أن ليس لدى بيتا ما تفكر فيه.

كان الطعام جيداً، بل رائعاً حسب رأي ماركوس الذي وجد نفسه يتساءل عن سبب الانقطاع الطويل عن هذا المطعم. واستند إلى الخلف مستمتعاً بالطعام وكذلك بجلبة الزبائن الذين كانوا مؤلفين من طلبة المدارس والأمهات الشابات والأساتذة والفنانين... وجميعهم كانوا يهاجمون طعامهم بنفس طريقة بيتا.

وبينما كانت تأكل، وجد نفسه يفكر في سهرة الليلة الماضية التي أمضاها مع أليزابيت، وهي محامية جيدة وذكية محنكة ورائعة الجمال. ورغم أنها دعته إلى شقتها الرائعة بعد العشاء لتناول فنجان قهوة، فإن القهوة كانت كل ما تناولاه إذ أنه لم يجد رغبة في نفسه لأكثر من ذلك.

لكنه الآن، وهو يراقب بيتا وهي تأكل مستمتعة بكل لقمة، فكر في أنه يفضل هذا الصمت القانع الراضي على الأحاديث الذكية، إنها متعة حقيقية.

– ماذا؟

سألته فجأة فنظر إليها متسائلاً: «ماذا قلت؟».

– إنك تنظر إلي متأملاً وكأنني حشرة. وأنا لا أحب ذلك.

– أنت استرالية فماذا كنت تتوقعين؟

– ألم تقابل استرالية قط من قبل؟

– لم أقابل واحدة تحب الأصداف البحرية قدر حبك لها.

– إنها الأفضل.

وابتسمت ابتسامة كافية لتصرع أي رجل.

من أين جاءت هذه الابتسامة القاتلة؟ إنها واسعة بيضاء مع غمازة في زاوية الفم...

نعم، حسناً، تماسك يا بنسون! لست بحاجة إلى التورط هنا.

– هل لك أن تخبريني عن سبب رغبتك في مقابلة تشارلز هيغنز؟

تلاشت ابتسامتها فشعر بالندم. تباً له، ما كان عليه أن يذكر هذا.

لكن هذا هو سبب وجودهما هنا. إنه أمر هام. والحقيقة أنه كان يشعر بالفضول. فهذه الفتاة رفضت لتوّها هدية هي ثوب بثلاثة آلاف دولار، وبكل بساطة. هل سبق وفعلت ذلك أية امرأة من اللاتي عرفهن؟

– صحيح أنك صدمتني فسقطت عن السلم، لكن ذلك كان ذنبي جزئياً.

كانت، بقولها هذا، وكأنها تقرأ أفكاره: «لا أريد أن أكون مدينة لأحد. إذا أنفقت ثلاثة آلاف دولار لشراء ثوب لي سأشعر بالغثيان بقية حياتي. وسيعلم تشارلز أنه مجرد واجهة».

– وهل يعرفك تشارلز؟

– أخبرتك بأنه ابن عمتي.

– لماذا إذن...

كانت ترى إلى أين تتقدم أفكاره.

– أتظن، لأنني قريبته، المفروض أن ترتفع الكلفة بيننا؟

- شيئاً كهذا.

- إنني هنا لأن عمتي هاتي ماتت، وهي والدة تشارلز وقد أمضيت الأيام القليلة الماضية جالسة بجانب سريرها ولم أر تشارلز. والمفروض أن تدفن هاتي غداً، وقد يأتي تشارلز أو لا يأتي إلى الجنازة. لكنه لن يدفع نفقات ذلك بكل تأكيد.

- إذن... أنت لست من الأقارب الأقربين له؟

- بل أنا كذلك. قريبة منه جداً.

- لماذا تريدين رؤيته إذن؟

تنفست بعمق وكأنها تشجع نفسها: «كان كل من عمتي هاتي وأبي يملك نصف مزرعة الأسرة. وعندما مات أبي منذ عشر سنوات ترك لنا نصيبه. واتفقنا مع هاتي على القيام بالأمر نفسه. لكنها لم تفعل، لقد تركت نصيبها كله لتشارلز، ولهذا عليّ أن أراه.. لكي أقنعه بأن لا يبيعه. أن يدعني أديره حتى... حتى أتحرر».

- تتحررين؟

نظرت إليه بعينين حجبهما عن الرؤية ألم لم يستطع أن يفهمه. وتابعت: «المزرعة هي كل ما أملك. وهذا لا يعني شيئاً بالنسبة إلى تشارلز. المال فقط ما يعنيه. عليه أن يرى أن عدم السماح لي بالعيش هناك ليس عدلاً على الإطلاق».

وعضت شفتها: «ولكن لا علاقة لذلك بك. إن تشارلز ابن عمتي، وهو مشكلتي أنا. لقد قدمت لي طعاماً والآن سأنظف نفسي قدر ما أستطيع ثم أعود لأحاول مقابلته مرة أخرى، وإذا لم أستطع سأعود إلى بلادي. ولكني أكون قد حاولت، على الأقل».

لم يستطع أن يحتمل مظهر الألم والتمرد. عليها أن تدعه يأخذ الخطوة التالية معها، فقال: «لا يمكنك مقابلته وحدك».

- طبعاً أستطيع.

فزمجر قائلاً: «ليس هناك (طبعاً) بالنسبة لهذا الأمر. لأن تشارلز حشرة قذرة. لا بأس، ربما كنت مخطئاً بتقديمي لك طقماً بثلاثة آلاف دولار، لكن غريزتي لا تخطئ. سنشتري لك ثوباً أنيقاً ترتدينه ثم أدخل معك مكتبه. قد لا

أحصل لك على أكثر من مواجهة، لكن بإمكاني أن أحصل لك على ذلك».

- كيف؟

- أولاً، أنا صاحب المبنى الذي يضم مكتبه.

- أنت تمزح.

- كلا، مع الأسف. وكنت قد قررت عدم تجديد عقد الإيجار له عندما ينتهي إيجاره الحالي، لكنه لا يعلم ذلك. يمكنني أن أضغط عليه.

- ولكن...

- علينا أن لا نطيل انتظار تشارلز لنا...؟

عادا إلى عملية شراء الثوب، لكن ماركوس حرص الآن على أن يكون الثوب بسيطاً. توجها إلى قسم الأسعار المتواضعة حيث وقف بعيداً بينما اختارت بيتا تنورة وبلوزة أنيقين و«صندلاً». خفيفاً بأربطة. وبدت رائعة في عيني ماركوس فأخذ يتساءل عما يجعل المرأة تلبس طقماً بثلاثة آلاف دولار بينما بإمكانها أن تلبس ثوباً أرخص ويظهرها، مع ذلك، بنفس الجمال؟

لعله غير محق، لأن بيتا، لجمالها، تبدو جميلة في أي شيء تلبسه. وكان يفكر في ذلك وروبرت يعيدهما إلى حيث مكتب تشارلز.

المشكلة الوحيدة هي أنها تبدو شاحبة قليلاً. كانت يداها منقبضتين بشدة، لكنها بقيت تتبادل معه الحديث وهما يتجاوزان الحديقة العامّة الرئيسية.

- لطالما أردت رؤية الحديقة الرئيسية العامة. منذ طفولتي وأنا أحلم بركوب حصان.

- هل أنت فتاة ريفية؟

- كنت أخبرتك بأننا نعيش في مزرعة. فأنا أحلب الأبقار لأعيش.

إنها تقول (إننا)؟ مع من تعيش يا ترى؟ ولكن هل هذا مهم؟

إنها تتوقع جواباً مهذباً غير شخصي، وعليه أن يجاهد للعثور على ذلك، وبأي شكل: «إذن فأنت تعيشين في مزرعة ومع ذلك تحلمين بالقدوم إلى نيويورك لتركبي على حصان؟».

- إنه ركوب من نوع مختلف.

ابتسمت مترددة. ورأى يديها ما زالتا منقبضتين، وقاوم حافزاً يدفعه إلى

الإمساك بهما ليرغمهما على الإسترخاء، وكانت تقول: «كل المشهورين الذين قرأت عنهم، مثل جاكلين كيندي وجون لينون، كانوا يحبون هذه الحديقة».

- هل أنت معجبة بجاكلين كيندي؟

- كان لتلك السيدة شخصية مميزة.

- وجون لينون؟

- أووه.. نظاراته تلك كانت مثيرة.

- أحقاً؟

قال هذا بفتور فضحكت. ولاحظ أن يديها ابتدأتا تسترخيان فسرّه ذلك.

إنها امرأة غير عادية على الإطلاق. كيف اختطف نهاره هذا؟

كانا الآن يقفان خارج أحد المكاتب حيث تشارلز بانتظارهم. وعادت يداها إلى التقبض.

- لا تدعي يدك تعرق.

وأدهش نفسه حين وضع يده فوق يدها الصغيرة. أدهشتهما هذه اللمسة، وشعر الاثنان برعشة كهربائية تسري بينهما، دافئة حميمة ومريحة بغير حدود. وسمع نفسه يقول: «أنا أدعمك وفي كل خطوة».

* * *

كانت الآنسة بريتشارد، سكرتيرة تشارلز، هي التي تخيفها. وقد رأتها حالما خرجت من المصعد. حتى أنها لم تتظاهر بالتهذيب وهي تسألها: «ماذا تريدين؟».

فأجابت بيتا: «أنا هنا على الموعد، كان العاشرة هذا الصباح».

فأجابت المرأة بازدراء: «كان لدى السيد هيغنز لحظة فراغ في الساعة الثانية، لكنك لم تكوني موجودة. وليس لديه أوقات فراغ للمواعيد قبل آخر الأسبوع القادم».

- هل يمكنك إذن أن تطلبي من السيد هيغنز أن يمنحني موعداً؟

سألها ماركوس بصوت ممطوط كسول جعل وجه المرأة يقفز من بيتا إلى الرجل الذي يتبعها، ويقف خلفها بشكل غير ملحوظ. وتابع: «أعتقد أن عقد إيجار هذا المكان ينبغي التفاوض بشأنه، بصفتي صاحب الملك هنا، أتوقع من

المستأجرين مستوىً مهنياً جيداً. في العاشرة هذا الصباح، كانت بيتا على موعد وما زالت تنتظر. وآخر ما أريده هو أن يتسكع الزبائن الساخطين المتذمرين حول مكاتب المبنى».

وأشار إلى كرسي: «تفضلي بالجلوس يا بيتا...».

وابتسم للسكرتيرة ساخراً... تلك الابتسامة التي جعلت كثيرين من خصومه من رجال الأعمال يوشكون على الإصابة بنوبة قلبية لازدياد قلقهم.

- أخبري السيد هيغنز بأننا هنا، وسننتظر حتى يتمكن من مقابلتنا.

كانت عينا السكرتيرة باردتين من قبل، وإذا بهما الآن تصبحان فجأة كعيني سمكة ذهبية تسبح فوق ثقب مفتوح. قلائل في هذه المدينة لا يعرفون قوة ونفوذ ماركوس. كان أسطورة!

- ولكن...

- فقط أخبريه. أريد أن أنهي هذا الأمر بسرعة وأرجو أن يكون هذا هو شعور السيد هيغنز أيضاً.

ويبدو أن هذا كان شعوره فعلاً، ذلك أنه، وبعد خمس دقائق، أشارت السكرتيرة إليهما، مع الاعتذار، بالدخول إلى حضرة الرجل الكبير.

إنه من التبسيط بمكان القول بأن بيتا كانت متوترة، فقد كانت هذه المواجهة في منتهى الأهمية لها، كما رأى ماركوس. مظهر وجهها وهي تدخل مكتب تشارلز كان ينبئ برغبتها في أن تبدو هادئة وعملية.

ويبدو أنها لم تحسب حساب الغضب الذي تراكم في نفسها طويلاً ما جعلها تنفجر حالما رأت ابن عمتها.

كان تشارلز يجلس خلف مكتب فسيح من خشب المهوغني. وقبل أن يقف، كانت قد اندفعت إلى المكتب وخبطت على خشب المكتب اللامع بكفيها، وهي تقذفه بقولها: «أيها الضفدع الجاحد».

وطرف ماركوس بعينيه مدهوشاً، لكن بيتا لم تهتم وهي تتابع: «جاءت هاتي إلى هنا لأنها كانت تظنك تحبها. لكنك لم تكن كذلك، بل هجرتها، كان الأفضل أن تموت في وطنها معي ومع هاري ومع الناس الذين يحبونها. لكنك أخبرتها أنك تريدها هنا. أقنعتها بالحضور إلى حيث لا تعرف أحداً. كيف أمكنك

ذلك؟».

فقال بحدة: «علاقتي بأمي لا تعنيك».

كان الرجل في أواخر الثلاثينات من العمر، متورد البشرة، يرتدي بذلة ثمينة من ثلاث قطع. وكان يبدو عليه الازدراء البالغ لها، وهو يتابع: «ليس لدي فكرة عما تريدينه مني، يا بيتا، أو لماذا أزعجت نفسك بهذا الموعد، أو لماذا جررت السيد بنسون إلى هذا الأمر».

ونظر إلى ماركوس بضيق. فهو كان السبب الوحيد لسماحه لها بالدخول. السبب الوحيد الذي جعله يمتنع عن الوقوف ودفعها إلى خارج المكتب.

- لا أحد يجرني إلى أي مكان.

قال ماركوس ذلك بلطف وهو يجر كرسياً ويجلس عليه.

فقال تشارلز: «إنه شأن عائلي».

فقال ماركوس بأحلى ابتسامة: «اعتبرني قريباً، لقد انتخبت نفسي قريبكم للتو. بيتا، أكره أن أقول هذا، لكنني لا أظن أن معاتبة تشارلز، بخطبة رنانة، على معاملته السيئة لأمه، مهما كان يستحقها، يمكن أن ينفع كثيراً فدعينا نختصر الكلام ونخرج من هنا. هذا المكان يثير أعصابي».

فاحمر وجه تشارلز: «لست مضطراً إلى البقاء».

- أنا مع السيدة. قولي ما تريدين قوله، يا بيتا.

عضت بيتا شفتها والتفتت إليه، وكان هو ينتظرها. تقابلت نظراتهما فأرسل إليها رسالة صامتة (اهدإي. الغضب لن ينفعك بشيء. قولي ما هو المهم لديك).

تلقّت بيتا ذلك فجاهدت للتحكم بنفسها. تنفست بعمق ثم تقدمت وبدأت تقول: «الوصية...».

- آه، نعم. الوصية. ما الذي يعنيك من وصية أمي؟

وكان لدى تشارلز الوقت ليستجمع شتات نفسه هو أيضاً. وألقى نظرة أخرى متوترة على ماركوس وهو يزداد غضباً في مقعده الجلدي الوثير.

- كانت هاتي تريد أن تترك لي النصف الذي تملكه من المزرعة.

فقال بابتسامة متكلفة: «هذا غير صحيح، يا ابنة الخال».

كاد ماركوس يضربه وجاهد ليبقى هادئاً، مفضلاً الحياد. وكانت بيتا تكمل: «عاشت هاتي في المزرعة طوال حياتها مثلنا تماماً. كلنا ما عداك. أنت رحلت منذ عشرين عاماً. لكن المزرعة أنفقت على تعليمك وعلى أسفارك».

وجالت بنظراتها في أنحاء المكتب المترف: «أراهن على أنها موّلت أيضاً إنشاء هذا. الإنفاق عليك جفف الدم في عروقنا. لقد أخذت نصف مكاسبنا إلى الأبد. كان جنوناً منها أن تترك لك نصف المزرعة».

- أنا ابنها.

- لكننا سبق وأنفقنا عليك الكثير، وكانت هي تعلم أن ليس بإمكاني أن أشتري ذلك منك. وهذا يرغمني على أن أبيع.

- هذه ليست مشكلتي.

تنفست بعمق مرغمة نفسها على الهدوء: «لا. إنها ليست مشكلتك ولا ينبغي أن تكون. كل ما أطلبه منك هو أن تحتفظ بنصف المزرعة الذي تملكه وتدعني أشتغل فيها حتى يبلغ هاري السن القانونية».

- هاري هذا...

كاد يسخر منها لولا وجود ماركوس، فحوّل الحديث بابتسامة غامضة: «كم يبلغ عمر هاري؟».

- إنه في الثانية عشرة.

الثانية عشرة... وقطب ماركوس جبينه مستوعباً ما سمع. لا يمكن أن تكون بيتا من العمر بحيث يكون لها ولد في الثانية عشرة.

ربما كان عليه أن يطرح مزيداً من الأسئلة.

أخذت بيتا تقول بشبه توسل: «إننا بحاجة إلى البقاء في المزرعة حتى يبلغ الثامنة عشرة. تشارلز، أنت تعلم مدى أهمية المزرعة لنا جميعاً».

- لم تكن مهمة بالنسبة إلي أبداً.

- إنها أنفقت على تعليمك وأوصلتك إلى ما أردته. وأنا أريد أن يصل هاري إلى ذلك الخيار، هو أيضاً. سأكون أكثر من سعيدة لأجلك إذا بقيت تأخذ نصف الأرباح، كما أن سعر الأرض يزداد طوال الوقت.

- لقد تحققت من الأمر. يمكنها أن تباع بثروة الآن. لأنها، بقرب البحر،

فقالت بيتا متكدرة: «إذا كنت متزوجة، عند ذلك أرث، ولكن لا معنى لهذا. قبل أن تغادر هاتي استراليا لتقيم هنا، خرجت مرتين مع أحد المزارعين، وهذا جعل هاتي تظن أنني سأتزوج ما دمت أستطيع ذلك. كانت قلقة بشأني. ظنت أنني سأمضي حياتي في الاهتمام بالأسرة وليس بنفسي. وربما ظنت أن عليها أن تدفعني لذلك، وذلك بوضع هذا الملحق الغبي في النهاية. إذا كنت متزوجة فقط، سأرث. دون أن يكون لي الخيار، لأنه سيكون ضمن مدة محددة».

- ماذا؟

ضحكت بمرارة: «بظرف أسبوع؟ حسناً، كانت هاتي مريضة في النهاية، ومشوّشة قليلاً حتى قبل أن تترك استراليا. وربما هذا ما جعل تشارلز يقنعها بالمجيء. وكانت قلقة عليّ. لكنها كانت هنا، في نيويورك، وحدها، ولا بد أن تشارلز دفعها بشدة إلى ترك المزرعة له. وهكذا تركت وصية تجعله يرث كل شيء. ولكن يبدو أنها، بعد أن تركها تشارلز وحدها مع المحامي، أضافت هذا الملحق الذي يقول إنني إذا تزوجت خلال أسبوع من وفاتها، فالمزرعة تعود إليّ. ولكن... أسبوع؟ ربما كانت تعني سنة. ربما... حسناً من يعلم ماذا كانت تعني؟ لكنها قالت أسبوعاً وذلك حتى يوم الأربعاء».

والتفتت إلى تشارلز وقد غامت عيناها لعلمها بما سيقوله وكانت تعلم ذلك مسبقاً: «تشارلز، أرجوك».

- أخرجي فأنت تضيعين وقتي.

ووقف يسوّي ملابسه، ثم اتجه إلى الباب. كان بديناً حقاً، وقصيراً ومغروراً. حشرة زحافة. لقد فعل كل ما بوسعه حتى لا يجفل حين مرّ به هذا الرجل الصغير ليفتح الباب.

- أنا آسف لأنها ضيّعت وقتك، يا سيد بنسون. وآسف لأنها ضيعت وقتي. عودي إلى المزرعة يا بيتا، إلى موطنك، واستمتعي بها قبل أن تُباع. ولكن تعوّدي على فكرة أنها ستنزل إلى السوق في اللحظة التي ينتهي فيها الأسبوع.

- آسفة لأنني أضعت وقتك سدى.

كانا صامتين حتى وصل بهما المصعد إلى مستوى الأرض. وعندما خرجا إلى

يمكن أن تقسّم إلى حصص تزاول فيها مختلف الهوايات. إنك تملكين النصف فإذا اشتركنا معاً سننجح تماماً.

- لكننا نعشق المزرعة.

- تغلبي على ذلك فأنا سأبيع حصتي.

- تشارلز...

- إسمعي. إذا كان هذا كل ما عندك لتقوليه... فأنت تضيعين وقتك.

ونظر إلى ماركوس بضيق، متسائلاً عما جعله يشترك معها في هذا الأمر.

ابتلعت ريقها ويداها تنقبضان وتسترخيان. ولكن ماركوس نظر إليها، فرأى كتفيها تهبطان.

رآها تتقبل الهزيمة، فآلمه ذلك.

آلمه بقدر ما آلمها هي. لماذا يشعر بأنه يريد أن يضرب شخصاً ما؟ تشارلز... وكان دافعه لهذا قاهراً.

لكن بيتا انتقلت الآن إلى الموضوع التالي المهم هامسة: «هل ستأتي غداً إلى جنازة هاتي؟».

- لا أحب الجنائز.

- كانت هاتي أمك.

فقال هازئاً: «نعم، لكنها ماتت. وقد نسيت ذلك، كما عليك أن تفعلي تماماً. وحالما تنتهي الجنازة، ستنزل المزرعة إلى السوق. كانت ستنزل إلى السوق اليوم لولا ذلك الشرط في الوصية».

فسأل ماركوس: «الشرط؟».

كان هذا نوع النقاش الذي يجيده. لقد تعلم منذ وقت طويل أن لا يقفز إلى الحديث مبكراً... بل يجلس ويصغي ويستوعب ويركز على الضروري.

نظر تشارلز إليه منزعجاً: «لقد تركت أمي ملحقاً غبياً في وصيتها. كنت أنا قد تركتها مع المحامي قبل أن ينتهي، فأضافت الملحق».

فقال ماركوس بلطف: «أخبرني عنه».

فحملق فيه تشارلز: «هذا ليس من شأنك».

- أخبرني عنه.

الشارع، بشمسه المشرقة، أخذت بيتا تطرف بعينيها وكأنها لا تصدق أن الشمس تشرق في مكان كهذا.

- أظن المزرعة تساوي ثمناً غالياً.

فعادت تطرف بعينيها: «ماذا؟ آه، نعم. أنت سمعت ما قال».

- ستصبحين إذن غنية.

- لا. لن أصبح غنية.

- هل لديك مهنة؟

- ماذا؟

- هل تعلمت مهنة؟

- نعم. أنا مزارعة.

مزارعة، طبعاً: «هل يمكنك الحصول على عمل في مكان ما في الزراعة؟».

- هل تمزح؟ مع أربعة أطفال، من سيقبلني للعمل عنده؟

- أربعة أطفال؟

سألها بحذر، فهزت كتفيها وكأن الأمر لا يعنيه وهذا كان صحيحاً.

وتنفست بعمق: «اسمع، أنا قلت إنني آسفة. لا بأس، وهذا يكفي، لقد كنت لطيفاً معي للغاية، شكراً لك. لقد واجهت تشارلز وسألته ما كنت أريد أن أسأله. كنت أعلم أن الأمر ميؤوس منه ولكن كان عليّ أن أحاول، لأجل الصبية. الآن أنا مصممة على أن أدفن عمتي هاتي بكل الحب الذي أستطيعه. ثم أستقل الطائرة إلى استراليا. تلك هي النهاية».

- ألديك أربعة أطفال؟

كان يريد أن يعلم كم عمرها؟ خمسة وعشرون؟ ستة وعشرون؟ أربعة أطفال. وتحولت عيناه بشكل لا إرادي إلى خصرها وفكر في أن هذا غير ممكن... غير ممكن أبداً.

رأته ينظر إليها فسألته: «إلى ماذا تنظر؟».

فأجاب معترفاً بابتسامة آسفة: «إلى قوامك. ما زال متماسكاً بالنسبة إلى إنجاب أربعة أطفال».

اتسعت عيناها وبدا عليها الذهول، ثم إذا بها تنفجر ضاحكة. كانت

ضحكة رنانة رائعة، جعلت المارة يلتفتون إليها.

- أتظنني أم لأربعة أطفال؟

- حسناً...

- إنهم أخوتي. دانييل وكريستوفر ووليم وهاري. عشرون، وثمانية عشر، وخمسة عشر، واثنا عشرة. وكلهم طلاب. والمزرعة تعيلهم جميعاً. إنهم يساعدون في العمل. وهم صبية رائعون لكن أمرهم انتهى تقريباً بالنسبة إلي، حتى الآن. أظن أن الحكومة ستنفق على تعليمهم، لكن الله يعلم أين سنعيش. كما أن هاري يعشق المزرعة. وسيتحطم قلبه إذا اضطررنا للخروج منها.

ساد الصمت بينما أخذ يحدق فيها غير مصدق. أربعة أخوة؟ هل تعيل أربعة أخوة؟

يا إلهي، ما أكبر هذا الحمل على هاتين الكتفين النحيلتين! أجفل بينما استطاعت هي أن تبتسم.

- سبق وقلت لك إن هذه مشكلتي وليست مشكلتك.

- دوماً بإمكانك أن تتزوجي.

فابتسمت بأسى: «قبل يوم الأربعاء؟ لا أظن ذلك. إنه شرط جنوني في وصية وضعتها امرأة عجوز مشتتة الذهن كانت متلهفة إلى أن تصلح أمور كل شخص، وهذا دوماً مستحيل».

وأمسكت بيده تهزها مودعة: «شكراً كثيراً لمساعدتك لي، يا سيد بنسون. لقد ساعدتني أكثر مما ينبغي وأنا شاكرة حقاً. الوداع».

واستدارت وهي تحوّل عكازيها بعيداً عنه، ثم أخذت تعرج على الرصيف الذي كان مزدحماً بمتسوقي بعد الظهر.

رآها تقف بعيداً، لم تكن عكازتاها ما يلفت النظر فقط، لقد كان شعرها الملتهب وقوامها، واستدارة عنقها الجميلة، وقوّتها.

وقف ينظر إليها وهي تبتعد. لقد رفضته، لم تطلب شيئاً منه.

كانت وحيدة. لكنه لم يستطع احتمال ذلك. لم يكن لديه فكرة عما ينبغي أن يفعله أو يقوله، لكنه كان يعلم فقط أن عليه أن يفعل شيئاً.

وناداها: «بيتا، قفي».

فوقفت والتفتت إليه: «نعم؟».

بدت كشخص سبق وانتقل من هذا المكان. بدت ضئيلة شاحبة كأنها تنتمي إلى كوكب آخر. وكأنها ستختفي في أية لحظة.

وأدرك أن هذا ممكن، وأن لديه هذه اللحظة فقط ليمنع ذلك وإلا ستذهب ولن يراها ثانية.

ولكن، أليس هذا ما يريده؟ إنه لم يتورط ولم يسبق أن تورط قط.. لقد أقسم على ذلك منذ وقت طويل ولم يتملكه إغراء منذ ذلك الحين، يجعله يحنث بقسمه.

حتى الآن.. حتى أصبح لديه هذا الخيار بأن يحنث بقسمه أو ينظر إلى بيتا وهي تبتعد الخطوات القليلة التالية لتأخذ، بعد ذلك، عبئها الثقيل عائدة إلى أستراليا.

حتى إنه لم يكن يعلم ما هو عبئها هذا، فهو بالكاد يعرفها. كان لديه اتفاقية عليه أن ينهيها، ولديه الليلة موعد مع امرأة يتمنى أكثر الرجال أن يظهروا معها. إن لديه حياة في نيويورك...

كانت بيتا تنظر إليه متسائلة تنتظر... تنتظر إطلاقها لكي تختفي.

لم يستطع أن يمنحها ذلك، وكانت هناك طريقة واحدة تمنعها من أن تختفي.

ناداها قائلاً: «هنالك طريقة يمكنك بها أن تتزوجي قبل يوم الأربعاء».

وتوقف المتسوقون حولهما مذهولين.

- كيف؟

نادته تسأله، ولكن ربما لم تناده. ربما كان صوتها هامساً. كانت تفصل بينهما عشرون ياردة وكان بينهما أناس. رأى شفتيها تتحركان وظن من ملامح وجهها بأنه يعيقها دون فائدة.

لكنه لم يكن يفعل ذلك. كان يعرف ما عليه أن يقول، وعندما قاله، بدا له ذلك صواباً، بل وضرورياً.

- يمكنك أن تتزوجيني.

٣ - مشروع عريس

لم تستطع أن تصدق ما سمعت. فمنذ لحظة، كان اليأس والهزيمة على وجهها، يمثلان نهاية العالم الذي عرفته، وغداً عليها أن تدفن عمتها بكل المحبة والإكرام اللذين تستحقهما، محاولة أن تمحو الألم الذي سببته تلك الفقرة المفزعة في الوصية، ثم بعد ذلك تستقل الطائرة إلى الوطن لتواجه أخوتها وتخبرهم بأن ليس لديها تصوراً لما سيكون عليه مستقبلهم

- عفواً؟ لم أسمع جيداً.

قالت له هذا أخيراً، فارتفع الضحك بين المارة. لم تكن الوحيدة التي تصدم بكلامه. لقد وقف أكثر من شخص ليسمع جوابها لسؤاله الخلاّب.

قالت امرأة عجوز: «إنه يريد أن يتزوجك يا حبيبتي. وهو يبدو عريساً ممتازاً. لو كنت مكانك لفكرت في الأمر».

فقالت امرأة أخرى: «إنها شابة وجميلة، وأمامها وقت طويل يمكنها أن تستمتع فيه بحياتها».

ونادت بيتا قائلة ما يحفظ كرامتها: «شكراً. هذا عرض جميل جداً للزواج، ولكن عليّ أن أذهب إلى الجنازة ثم أرحل إلى استراليا وطني. فأنا لا أناسبك».

- أنا جاد يا بيتا.

فأجفلت، آمرة نفسها بالسكوت. لقد عانت الكثير وحان وقت ترك المزاح المثير للغثيان.

لكن ماركوس كان يشق طريقه بين المشاهدين المأخوذين متوجهاً نحوها. وشعرت بحافز قاهر للهرب... بعيداً... لكنها لا تستطيع طبعاً. سيمنعها كاحلها من ذلك، لذا عليها أن تقف وتكون مهذبة، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنها القيام به.

- ماركوس . . . ؟
- أنا جاد .
واقترب منها يمسك بيديها . كانت تمسك بعكازيها ، وعندما أمسك بيديها سقطت العكازتان ما جعلها تشعر بمزيد من العجز .
- بإمكاننا أن نفعل هذا ، يا بيتا .
فقالت هامسة : «ماذا . . . ماذا؟» .
- يمكننا أن نتزوج . أنت بحاجة إلى أن تتزوجي قبل يوم الاربعاء وبإمكانك ذلك ، يمكنك أن تتزوجيني .
- ولكن . . . أنت لا تريد أن تتزوجني .
- طبعاً لا أريد . أنا لا أريد أن أتزوج أحداً . ولكن هذا هو السبب بالضبط . لأنني لا أريد أن أتزوج أحداً ، يمكنني أن أتزوجك .
- هذا غباء .
- لا ، بل هو معقول .
- ولماذا هو معقول؟ وكيف يمكن أن يكون معقولاً؟
ولم تعرف ما إذا كان عليها أن تضحك أو تبكي ، أو تهرب بكل بساطة . هذا الرجل الضخم بعينيه الباسمتين ينظر إليها بتعبير يقول إن لديه الجواب لكل أسئلتها هنا ، وما عليها إلا أن تثق به .
تثق به؟ لكنها لا تعرفه . وحاولت أن تسحب يديها من بين يديه لكنه تشبث بهما : «بيتا ، يمكن لهذا أن ينجح» .
- وكيف ينجح؟ كيف يمكن ذلك؟

* * *

ولكن بعد ربع ساعة ، عندما جعلها تهدأ إلى حد جعلها تصغي إليه ، ابتدأت تقتنع بأن هذا الأمر قد ينجح .
قال : «سأطلب من المحامي دراسة الوصية عصر هذا اليوم . ولكن إذا كان هذا كل ما تريدين . . . أن تكوني متزوجة ، فيسعدني أن أكون ذا نفع لك» .
ودخلا أول مقهى صادفاه فجلسا إلى مائدة متقابلين وكانت بيتا تشعر وكأنها تلقت ضربة على رأسها .

- ولكن . . . لكنك لم تفعل سوى أنك أحرقت غدائي . لم تغتصبني ولم تدمر كرامتي أو احتمال زواجي . . . فلماذا تريد أن تتزوجني . . . لماذا؟
- لأنني أكره تشارلز هيغنز .
- اطرده من ملكك إذن! إفعل به ما تشاء ولكن انس فكرة الزواج . إنك تورّط نفسك إلى حدّ بعيد .
لكنه كان يهز رأسه باسماً : «لا ، أنا لا أفعل هذا . أنا فقط أعرض عليك الزواج ، وهذا كل شيء . احتفال بسيط . نكتب اتفاقية قبل الزواج تقول إن ليس للواحد منا الحق في طلب العون من الثاني بعد الطلاق . بإمكان المحامي أن يهتم بهذا الأمر . وباستثناء احتفال بسيط ، لن تكون ثمة أي صلة بيننا» .
نظرت إليه وقد عمّقت ابتسامته شعورها بالتشوّش : «ما زلت لا أفهم . لا بأس! أنت لا تحب تشارلز هيغنز ، لكن هذا ليس سبباً يدفعك إلى هذا العمل إذ لا فائدة منه بالنسبة إليك . لا بد من أن هناك غرضاً ما . ماذا تريد في المقابل؟» .
فتردد . أخذت تتأمل وجهه . كان حسن التقاطيع ، فيه قوة وحرارة وروح النكتة .
وأخيراً قال : «سيكون القيام بذلك شيئاً حسناً . لا أدري إن كان بإمكانك أن تفهمي ذلك ، لكنه مهم بالنسبة إليّ» .
- لا ، لا أفهم . إشرح لي ذلك .
- أنا أحب المساعدة .
- فيشعرك ذلك بالإستعلاء .
وسرعان ما توهج وجهها : «آسفة . كان هذا سوء أدب مني» .
- هل هذا ما جعلك عرضي الزواج تشعرين به؟
فرفعت رأسها وتقابلت نظراتهما : «نعم . أنت تفهم» .
- أفهم أن الأخذ أصعب من العطاء؟ نعم . أعلم ذلك .
- كما أنني لا أعرف شيئاً عنك .
- بيتا ، لقد جئت من خلفية كنت فيها لا أفعل شيئاً سوى الأخذ .
وقابلت عيناه عينيها بثبات وقوة ، تخبرانها بأنه يقول الحقيقة : «لم يكن لدينا خيار ، فقد كانت أمي تعيش من منظمات الخدمات الاجتماعية ، كما كان عليّ

أن أحارب أيّ شخص وأ[illegible]عون من أناس كنت أفضّل أن لا أكون مديناً لهم. وهكذا أمضيت العمر في الكفاح لأصل إلى ما وصلت إليه. وقد أصبحت الآن في وضع يمكنني أن أعطي فيه، لكن ذلك لا يعني أنني أتوقع عرفان الجميل أو الإخلاص الأبدي. مجرد كلمة شكر، ثم تتابع حياتنا. ويوماً ما عندما تصبحين حيث وصلت أنا، ربما ستتمكنين من القيام بالشيء ذاته نحو شخص آخر».

– كما يقال (خذ الإحسان وناوله لآخر)؟

– نعم... شيء كهذا.

– وهذا إحسان!

وكان صوتها متوتراً هستيرياً نوعاً ما. ولماذا لا تكون كذلك؟

– بيتا...

– هممم...

– دعنا نتزوج.

– وكيف بإمكاني أن أتزوجك؟

– هذا سهل. نستخرج رخصة ونتزوج، هناك إجراءات رسمية علينا أن [illegible]زها لكنني أتصور أنني إذا نثرت بعض النقود والنفوذ على تلك الإجراءات ستختفي. أنت قلت إن لدينا وقتاً حتى يوم الأربعاء.

– نعم، ولكن...

– أي بعد غد. لا تجفلي، يمكننا أن ننهي الأمر بسهولة.

– يبدو عليك وكأنك تقوم بذلك مرة في الأسبوع.

– لا. لم أتزوج قط.

– وإذا قابلت عروس أحلامك في الأسبوع التالي؟

– هذا لن يحدث.

– ولماذا لن يحدث؟ هل أنت شاذ؟

أجفل لقولها وكاد يهرق قهوته، وعندما تمالك نفسه قال بابتسامة: «كلا، يا بيتا. أنا لست شاذاً».

– ما هو السبب الآخر الذي يمنعك من الزواج؟

تردد مفكراً:

– لقد تزوجت أمي أربع مرات. وفي الأربع مرات كانت تبدو في عرسها تلك العروس التقليدية، فتلبس وتتألق حماسة وتخبرني بأن هذا الزواج هو الأفضل. لكنها كانت تختار الفاشلين، كل زواج كان يزيد من عمق مشاكلنا. وهكذا وقفت في آخر هذه الزيجات مقسماً بأنني لن أتزوج أبداً. وقد رسخ هذا في نفسي، يا بيتا، أنا لن أغيّر عقلي الآن.

فكرت في ذلك فلم تفهمه. فقالت برقة: «أمك، إذن، لم تكن ماهرة في الزواج، مع الأسف، لكن هناك أناساً كثيرين في العالم ما زالوا يرون الزواج فكرة جيدة للغاية».

– كان هناك أموراً أخرى أيضاً. تعلّمت منذ زمن طويل أن الاستقلال هو الأفضل.

– تعني الأسهل؟

– ربما الأسهل.

فحدقت إليه ورأت أنه يعني حقاً ما يقول. وربما ما يقوله صحيح. ولكن الآن ليس الوقت المناسب الذي تأسف فيه على استقلال لم تعرفه في حياتها وعلى الأرجح أنها لن تعرفه أبداً. إنها الآن تجلس مع رجل يعرض عليها حلاً لمصاعب على وشك أن تقهرها. وكان هذا الحل سخيفاً فهي لا تعرف شيئاً عن هذا الرجل.

وكان هو ينظر إليها، منتظراً جوابها.

– لكنني لا أعرفك.

– لست بحاجة إلى أن تعرفيني.

– قد تكون خدّاعاً.

– نعم. لكي أسلبك نصف المزرعة. إن أمامك خيارين، إما أن تثقي بي وتغامري بخسارة نصف المزرعة، أو تخسري هذا النصف حتماً وذلك بتسليمه إلى تشارلز.

– لا يمكن أن تكون جاداً.

– بل أنا جاد.

– لكنني... لا أستطيع.

www.elromancia.com

– لمَ لا؟ هل هناك رجل آخر تريدين أن تتزوجيه؟

فكرت لحظة. كانت الفكرة جنوناً: «لا، ولكن...».

– إليك عرضي... إما خذي وإما اتركي. أنا أعرض عليك الزواج، وإن كنت في الحقيقة لا أعرف لماذا، ولكن يبدو أن ذلك صواب. هل تتزوجينني يا بيتا؟ حتى يوم الجمعة على الأقل؟

فحدقت إليه مذهولة: «أنت جاد حقاً».

– أنا جاد حقاً.

كان عقلها مشتتاً في آلاف من الاتجاهات المختلفة. لكن فكرة واحدة ظلت تسيطر عليها، وهي أنها قد تتمكن من الاحتفاظ بالمزرعة.

أمسك بيدها بشدة: «بيتا، بيتا... أنت لست بحاجة لأن تفهمي. ما عليك إلا أن تمنحيني الثقة. فقط قولي نعم».

من السهل القبول. هل تتزوجيني!

وفكرت بعنف في أن هذا ربما غير مهم على الإطلاق. فالناس تتطلق كل يوم. وما هو الزواج؟ مجموعة مستندات يمكن أن تُلغى في أي وقت، وسيصبح إخوتها في أمان.

عضت شفتها وحدقت إلى عيني ماركوس الرماديتين الهادئتين فبادلها التحديق. ما زال يمسك يدها. ما زال ينظر إليها، منتظراً.

وفي النهاية كان الأمر سهلاً. لم يعد هناك ما يقال، فهمست: «لا بأس. لا بأس يا ماركوس. أشكرك كثيراً، ليس لديّ فكرة عن السبب الذي جعلك تفعل هذا، لكنني شاكرة جداً. نعم. سأتزوجك في أقرب وقت ممكن».

كان ماركوس ينسون رجلاً يُركن إليه. وُضعت بيتا في سيارة روبرت ثم أُرسلت إلى فندقها مع توصيات بأن تريح كاحلها. بينما انتقل ماركوس إلى الاعداد لإقامة حفل الزفاف.

كان أخبر بيتا بأنه سينظم الأمر قبل الأربعاء، وفي الحقيقة كان ذلك تكهناً، إذ لم تكن لديه فكرة عما إذا كان ذلك ممكناً.

واستدعيت روبي بسرعة فائقة من غرفة الاجتماع حيث كانت جمّدت الأمور نظراً لغياب ماركوس. وكانت تشعر بجهد بالغ.

وعندما أخبرها ماركوس بأنه يريدها أن تنظم حفلة زواجه، تملكتها الصدمة. وكان عليها أن تتناول قدح ماء لتوضح الفكرة في رأسها.

– أنت؟ ستتزوج؟

– وما الخطأ في ذلك؟

فكرت في ذلك. وكان ماركوس خلف مكتبه. أخذ ينظر إليها بصبر، ورأى عينيها تتسعان ذهولاً لطلبه غير العادي هذا، ثم رآها تفكر في الأمر.

سألته بحذر: «تتزوج المتشردة؟».

فأومأ: «نعم، سأتزوج بيتا».

روبي، التي لم يرها ماركوس في حياته تدهش لأي شيء، كانت الآن فاغرة فاها ذهولاً.

– لا أصدق هذا.

– هذا لا يهم، أخبريني فقط ما عليّ أن أفعل.

– إممم... الأعراس. لم أعد عرساً قط، ولكن... لا بأس، سأفعل هذا. هل تفضل نوعاً معيّناً؟

– نوعاً معيناً؟

– في الكنيسة مثلاً، أو زواجاً مدنياً؟ ثوب زفاف، وصيفات، باقات ورد؟

– لا شيء مفضل. عرس سريع فقط.

– متى تريده.

– غداً؟

– غداً!

هتفت بذلك ثم تمالكت نفسها نوعاً ما: «آه، هل قلت غداً؟».

– نعم. الأربعاء على أبعد تقدير.

– هناك أشياء مثل رخص الزواج. أنا واثقة من أن هناك إجراءات رسمية.

– أنثري لحل المشكلة ما تريدين من النقود، فقط أنهي الأمر.

– آه، كم هذا شاعري.

فقال محذراً: «روبي».

– نعم يا سيدي.

- فقط أنهي هذا الأمر.
- بكل تأكيد، يا سيد بنسون. جيد جداً يا بنسون.
وتنفست بعمق، ورآها تكبت ضحكها: «هل نعرف اسم العروس؟».
- بيتا.
- أعرف أن اسمها الأول هو بيتا. سنحتاج إلى القليل من المعلومات... إلى قليل فقط.
- حسناً.
وناولها ورقة: «جعلتها تكتب كل هذه التفاصيل، فأنا لست مغفلاً».
وقرأت روبي: «بيتا أوشوناسي، العمر ست وعشرون. أسترالية».
- هذا صحيح.
لكنه لم يكن يعلم ذلك. وقطب وجهه فجأة. يا لجهنم! ما هذا الذي وضع نفسه فيه؟ بيتا أوشاناسي. كانت قد كتبت اسمها لكن هذه أول مرة يسمعه.
- إنها بحاجة إلى أن أفعل هذا.
فتوقفت روبي عن القراءة ونظرت إليه: «هل هي في مشكلة؟».
- نعم.
- أتريد أن تخبرني؟
فتنهد، لكن روبي موضع ثقة، وقد تعلّم منذ وقت طويل أنه من الأفضل أن يخبرها. أخبرها الأمر باختصار، وعندما انتهى كان وجهها قد تغيّر. تلاشى الضحك، والتصميم الذي يشعر به انعكس على وجه مساعدته بشكل غريب.
كانت روبي قد قابلت بيتا، وهي تعرف تشارلز. وكراهية ماركوس له لم تكن شخصية تماماً.
وابتدأت روبي العمل: «ستحتاج إلى اتفاقية قبل الزواج».
- هل يمكنك الحصول عليها بسرعة؟
- بكل تأكيد، ولكن... أنت تعلم أن تشارلز لن يتسامح في هذا الأمر، خصوصاً إذا ما تعلّق الأمر بالمال.
- هذا ما أظن.
- دعني أسلّم هذه لمحامينا. سأطلب إرسال نسخة من الوصية إلى هنا

بالفاكس بعد الظهر. تريد أن تكون على بيّنة من الأمر، أليس كذلك؟ أو...
وسكتت وبدت ومضة ضحك في عينيها: «أو أن تصبح أكثر عمى مما أنت عليه».
- هذا صحيح.
فترددت: «ماركوس...».
- نعم.
- إن عنوان الفندق الذي تقيم فيه بيتا مدوّن هنا.
- لقد أخبرتها أن تتركه هنا في حال ملأت أنت أوراقها.
عادت تنظر إلى العنوان ثم نظرت إليه بحذر: «أتعلم أين تقيم؟».
- هذا لا يهم. هذا العرس مجرد إجراءات رسمية. ومكان إقامتها هو من شؤونها الخاصة.
عادت تنظر إليه مفكرة: «أنا أعرف هذا الفندق. فجاري لديه صديق من كندا كان أمضى فيه ليلة واحدة. إنه أرخص فندق في المدينة. لكنه خرج منه منهوباً تماماً».
ساد صمت حدث نفسه فيه بأن مكان إقامة بيتا هو شأنها وحدها.
ولكن، طبعاً هذا غير صحيح. وتناول الورقة من يد روبي ونظر إليها... إلى عنوان... عروسه؟
- هل يمكنك تدبر الأمر؟
- كيف؟ أن أذهب إليها وأقول لها إن ماركوس يريدك أن تنتقلي؟
- لا أظن ذلك.
لقد رأى من بيتا ما يكفي ليعرف أن هذه ليست الطريقة المثلى للتعامل معها. لكنه... لا يريد التورط معها... لكنه متورط فعلاً... متورط تماماً.
وأخيراً قال: «المفروض أن أذهب إليها».
فقالت موافقة: «طبعاً عليك أن تذهب إلى إنقاذها، يا ماركوس بنسون... رباه».
ذلك أن ماركوس بنسون لم يعد مصغياً لها، فقد سبق وخرج.
عندما أنزل السائق روبرت بيتا عند باب فندقها، كان شعورها بالإرهاق لا

يطاق، فاستلقت على الفراش القاسي وحاولت أن تنام. لم تكد تذوق طعم النوم منذ جاءت إلى هذه البلاد. وكان الطبيب قد أعطاها حبوباً ضد الألم وأنذرها بأنها منوّمة.

لكنها لم تجد سبيلاً إلى النوم. ولم تكن الضجة هي التي منعتها ذلك. فهي في هذه البلاد منذ أكثر من أسبوع وقد تعلمت أن تتجاهل جلبة السكارى التي تحيط بها. ولا يتملكها القلق بشأن سلامتها. كان لديها شعور بالإرتياح لعدم امتلاكها لما يمكن أن يُسرق. وكان جواز وتذكرة السفر في حزام النقود الذي يلف جسدها، ولم تكن تملك شيئاً آخر عدا ذلك.

وكان عليها أن تنام. ولكن كيف يمكنها ذلك؟ إن ماركوس معها في كل لحظة تغمض فيها عينيها، يملأ رأسها، وعيناه الرقيقتان تتفحصان عينيها...

فكرة لا تصدّق. ماركوس بنسون يتزوج بيتا أوشاناسي؟

أما من يكون ماركوس بنسون، فهذا ما لا تعرفه. ولكن ماذا يمكنها أن تعمل بهذا الخصوص؟

ليس لديها ما يستحق السرقة، فهو لن يحتال عليها. ماذا تملك؟ نصف مزرعة مقسمة إلى خمس حصص.

إذا كان غرض ماركوس من الزواج بها هو أي شيء عدا الرغبة في العطاء وحب الغير، إذن سيتلقى مفاجأة كبيرة.

بإمكانه أن يأخذ هاري.

خطرت هذه الفكرة في بالها، ومن المدهش أنها كانت سارة.

إن ماركوس سيحب هاري، وقد يحب هاري ماركوس. وكان هاري أصغر اخوتها، لكنها، أحياناً، تشعر بأن تحمل مسؤوليته هو أكثر ما يرهقها.

نعم، ربما تحب هاري من كل قلبها، ولكن إذا أراده ماركوس... فهي مستعدة حتماً للمشاركة.

كان ذلك يكفي لتشتيت ذهنها، فتتوقف عن التركيز قليلاً لتحس بالارهاق، ومن ثم تستسلم للنوم.

* * *

استيقظت على صياح وجلبة. ولكن ما الخطب؟ الناس يصيحون هنا على

الدوام. نصف نزلاء هذا الفندق الصغير سكارى. لكن الصياح كان هذه المرة أقرب إليها من العادة.

فالغرفة تحتوي على ثمانية أسرة، أربعة منها مغطاة بأجسام تتعارك. كان هناك من يصرخ بألم، وآخرون يلكمون ويتدحرجون. ثم صوت زجاج يتحطم وامرأة تصرخ.

فتحت عينيها فرأت شخصاً يختطفها ويحملها.

وصرخت بذعر: «أنزلني».

- لا تجذبي الانتباه إلى نفسك. هل هذا كيسك؟ اخرسي ودعيني أخرجك من هنا.

وكان هذا صوت زوجها المقبل.

* * *

عاد ماركوس إلى شقته. لم يحتمل أي جدل، ولم يقل شيئاً حتى أنزلهما روبرت أمام باب المبنى حيث شقته، واستقلا المصعد إلى «الروف». وأصبحت معه خلف الباب المغلق.

وحتى حينذاك لم يشأ أن يصغي إلى احتجاجها.

- أنا سأتزوجك، وهذا يتضمن المحافظة عليك حية حتى الغد على الأقل. فاعقلي وأطيعي الأوامر.

كانت ما تزال تحس بالدوار بسبب الحبوب القاتلة للألم، فهي شبه نائمة. ولكن ليس إلى حد يمنعها من الاحتجاج. كانت تقف مزعزعة على العكازتين، واقفة على قدميها تقول: «أنا لا أحسن اتباع الأوامر».

- ما الذي جعلني أتكهن بذلك؟

قال هذا بابتسامة ملتوية. كانا واقفين في المدخل المؤدي إلى شقته وكل ما أمكنها أن تراه هو المرايا والرخام الأسود ولولا الدوار الذي تملكها لشعرت بالذعر.

- لا يمكنني أن أقيم هنا معك.

- تكهنت بأنك ستقولين هذا أيضاً.

وأشار إلى ثلاثة أبواب: «الحمام وغرفة النوم والمطبخ. أما أنا فسأمضي

الليلة في النادي وسأراك في الصباح».

– ولكن...

وحملقت فيه مشتتة الذهن إلى حد لا يصدّق. لقد مرّ هذا النهار عليها وكل ما تعرفه أنه ابتدأ بكارثة فإذا به ينتهي بالخلاص، وقد جاء الخلاص على يدي هذا الرجل الأنيق بعينيه الجميلتين وابتسامته الساحرة.

وهمست: «شكراً».

– لا بأس.

– أنا عنيت ذلك.

وتقدمت تمسك بيده، وقبل أن يدرك نيتها، وقفت على أطراف أصابعها وعانقته. كان عناقاً بسيطاً يعبّر عن الشكر والتعب والحاجة إلى المواساة. وما كان لها أن تسبب أي اضطراب ولكن، وهي تتراجع مبتعدة، كان الاضطراب واضحاً في عينيه.

– ماركوس...

– الأفضل أن أذهب.

وكان صوته أبح غريباً غير واثق.

– أنت لست بحاجة إلى الذهاب.

كانت تعني أن بإمكانها أن تنام على الأريكة. كما كانت تنوي أن تضيف... شيئاً ما. لكن الدوار والحبوب التي سبق وتعاطتها قد تغلبا عليها فلم تستطع أن تفكر في أي شيء آخر تقوله.

ماذا قالت؟ أنه ليس بحاجة إلى الذهاب؟ لا، كانت على حق، أكثر من ذلك... كانت متلهفة إلى أن يبقى، فقد كانت تشعر بوحدة بالغة.

يا لها من لحظة ضعف! وتمالكت نفسها حفاظاً على كرامتها.

– كنت أعني...

– أنا أعلم ما كنت تعنين.

قال هذا باسماً... وكانت ابتسامته هذه هي سبب دمارها.

– لكنني ما زلت أظن أن من الأفضل أن أذهب.

قال هذا وهو يلامس وجنتها بخفة، أتراها تتخيّل أم أنه تردّد فعلاً في الخروج

من المنزل؟

لم تكن واثقة.. لم تكن في حالة تسمح لها بذلك. وأدرك هو ذلك فشتم بلطف ثم قال: «أقفلي الباب خلفي وابقي آمنة حتى الصباح. لا تجادلي».

ثم خرج صافقاً الباب خلفه.

كانت من الارتباك بحيث لم تستطع التفكير، فتناولت عكازتيها وعرجت إلى الأمام، ذاهلة. كان الباب الأول يوصل إلى غرفة النوم، حيث تكوّم على السرير البالغ الاتساع جبل من الوسائد.

بدا رائعاً. وكان الصمت يحيط بها. الصمت لأول مرة منذ وصولها إلى هذه المدينة.

عرجت إلى السرير، ووضعت عكازيها جانباً، ثم ألقت بنفسها عليه.

سواء كان ذلك حكمة منها أم لا فقد استغرقت في النوم بعد عشر دقائق.

لكنها عندما نامت، وضعت يدها على خدها الذي لامسته أصابع ماركوس.

وماركوس؟

استلقى على سريره في ناديه وهو يشتم.

حفلة واحدة وينتهي منها... حفلة واحدة...

لكنه عندما دخل ذلك المكان، ورأى أولئك الأجلاف يتعاركون. والرجال في أسرّة النساء، والجميع قد جنتهم الشراب، ... وحطام كؤوس.

وبيتا... كانت نائمة وكأنها من الإرهاق بحيث لا تستطيع الاستيقاظ، حتى لتحمي نفسها.

ثم عناقها له... كان عناقاً لا يمكن مقاومته... لا يمكن...

وهكذا، لم يعرف كيف يتصرف. كل ما يعرفه هو أنها عندما طلبت منه أن يبقى، كان عليه أن يستعمل كل ما لديه من إرادة لكي يمنع نفسه من أن يحملها بين ذراعيه ويلقي بها على السرير...

لكنه عاد فحدث نفسه بأنه سيرعاها حتى تغادر نيويورك، وهذا كل شيء. وبعد ذلك ينساها.

عندما استيقظت بيتا، استوعبت ما حولها فلم يرقها ما رأت على الإطلاق.

تمطّت في ذلك السرير الواسع الوثير ونظرت حولها، فأجفلت.

كانت، في الليل، ذاهلة مرهقة ودائخة من أثر الحبوب المنوّمة، لكنها، في الصباح، رأت الشقة وكأنها مستوحاة من تصميم مجلة «الطراز الحديث» النسخة الرجالية.

قد تكون الشقة مريحة ساكنة، آمنة، لكنها أيضاً مجدبة. لا، لعلّه الذوق الرجالي الهادئ الرصين العصري. وكانت الألوان فيه هادئة تجمع بين الرمادي والأسود، مع كثير من الزجاج ومعدن الكروم. كل شيء باهظ الثمن.

نزلت من السرير وسارت تعرج إلى النافذة. كانت تطل على «الحديقة العامة المركزية». وعربات تجرها الخيل. وكان المنظر جميلاً حقاً.

واستدارت لتجول في أنحاء الشقة مرة أخرى، ومرة أخرى أجفلت. لم يعجبها ما رأت. لم تر أية صورة. لا وجود لأغراض شخصية. كان المكان يبدو كفندق، وأكثر.

من هو هذا الرجل الذي ستتزوجه؟ وماذا تفعل هي في شقته؟

لم يكن لديها وقت للأسئلة. ونظرت إلى ساعتها وصرخت هلعاً. لم يبق سوى نصف ساعة على دفن هاتي.

عليها أن تسرع بالخروج. وكان ماركوس قد وضع كيس حاجياتها في الردهة. وما كان عليها الا أن ترتدي البذلة التي اشتراها لها ماركوس أمس.

أخذت دشاً سريعاً وارتدت ملابسها في دقائق، ثم وقفت عند الباب تستعد للخروج.

نظرت في أنحاء الشقة وهي تفكر في أنها، في الواقع، لن تأسف لمغادرتها. ولو أن هذه الشقة كانت بيتها، لكرهتها بقدر ما كرهت الفندق. لكنه بيت ماركوس، وماذا يعني هذا؟ إن ماركوس لا يعني لها شيئاً. لا شيء على الإطلاق.

٤ - في شقة ماركوس

- ماركوس...

أيقظ اتصال روبي ماركوس من النوم، وهذا أمرٌ غير عادي، إذ أنه يستيقظ، عادة، عند الفجر ليتفحص الأسواق العالمية. لكن الأرق تملكه فترة طويلة هذه الليلة، بسبب أحداث النهار التي شوّشت ذهنه إلى حد بالغ.

لقد تركت بيتا تأثيرها عليه... لم يعرف كيف، لكنها، بشكل ما، شقت طريقها خلال دفاعاته فجعلته يهتم بها.

التفكير في أنها وحدها في شقته الفارغة كان يقلقه بشكل هائل. ولأول مرة يجد نفسه يتمنى لو أنه أمضى مزيداً من الوقت في جعل شقته مريحة. لكنه لم يكن يهتم لهذا. كان البيت، بالنسبة إليه، مكاناً ينام فيه ويلقي فيه ثيابه المتسخة للغسيل، وتنظمه روبي بسرعة غريبة، وترتبه وتصلح وتثبّت معداته وتترك له عشاء في الثلاجة فيما لو عاد، بالمصادفة، جائعاً.

وبالكاد كان يلاحظ ذلك. لكنه يتمنى الآن لو أن شقته كانت أفضل. وعندما نام أخيراً، كان قد قرر تقريباً بأن يستدعي مهندس ديكور رغم أن هذا سيكون إسرافاً حقيقياً لأنه سيفقد اهتمامه بالشقة بعد رحيل بيتا. فلماذا يهتم بذلك الآن؟ ولماذا تؤثر هي عليه بهذا الشكل؟

كان نومه متقطعاً، وعندما أيقظته روبي كان صوته ناعساً منخفضاً. سألته بقلق: «هل نقلتها من هناك؟».

- ماذا؟

- بيتا، هل نقلتها من ذلك الفندق؟

- نعم. إنها في شقتي.

- شقتك.

لاحظ اهتمامها فابتسم: «أنا في النادي».

- آه، النادي. في الناحية الأخرى من المدينة، هذا حسن.

- ماذا تريدين يا روبي؟

- بالنسبة إلى الزواج.

- هل هناك مشكلة؟

- ليس من ناحية الزواج. وجدت قاضياً مستعداً لإتمام الأمر. وفرقتك القضائية رتبت كل شيء.

- ما هي المشكلة إذن؟

- مسألة مغادرة بيتا للبلاد هو ما لم يعجبني.

- ما الذي لم يعجبك؟

- هل سترحل إلى وطنها غداً؟

- هذا ما أتصوره.

- وأنت ستبقى هنا.

- وماذا سأفعل غير ذلك؟

فقالت مفكرة: «الزوج الحقيقي يذهب معها».

إنه يعرف هذه اللهجة: «روبي، هذا ليس زواجاً حقيقياً».

- ليس هذا رأي رجال القانون. لقد جعلت آدم وغلوريا يدققان في عواقب هذا الأمر. إنهما يقولان إنه إذا كان أي ربح قانوني يتوقف على زواج ما، يجب الحرص إذن على أن يكون هذا الزواج جاداً. لأن مجرد عرس بسيط وشهادة زواج مدني لن تكفي لأن تشارلز يستطيع أن يسقطه قانونياً حالما يسمع به. لن تستطيع كل قوتك ونفوذك أن تجعلاه ينجح إلا إذا أمضيتما بعض الوقت معاً. إذا أنت تزوجت الفتاة، عليك أن تتم مراسيم الزواج كما ينبغي.

- أتم المراسيم كما ينبغي؟ ماذا تقترحين؟

سمعها تأخذ نفساً عميقاً وكأنها غير واثقة مما تقول: «حسناً، أخذنا أنا وآدم وغلوريا نفكر».

كان آدم وغلوريا رأسي شركته القضائية المفكرين، وكانا بالاضافة إلى روبي يشكلون قمة ثلاثية. وسألها: «بماذا كنت أنت وآدم وغلوريا تفكرون؟».

- بأن عليك أن تأخذ عطلة.

وجاء دوره ليفكر. فسألته: «هل ما زلت هناك؟».

فقال بحذر: «ربما».

- هل أخذت إجازة قط؟

- لا أحتاج إلى...

- ماركوس. إنك تعمل منذ تركتك أمك عندما كنت في الثانية عشرة.

وكاد الهاتف يسقط من يده: «يا لجهنم».

- أتظنني لا أعلم؟ أتظن أن لا أحد منا يعلم؟ لقد كافحت في كل لحظة من حياتك، كل لحظة. وكل ما تعرفه هو كيف تنتج المال، يا ماركوس.

- روبي...

- أنا أعلم.

لم يحدث قط أن تدخل الواحد منهما في حياة الآخر الخاصة. ولكن يبدو أن روبي تنوي خرق هذه القاعدة. فقالت بصوت رقيق يخالف صوتها العادي: «ماركوس، أنا ابتدأت في هذه الأعمال المالية بعد أن قتل زوجي وطفلتي في حادث سيارة. وأنا الآن أملأ حياتي بعملي هذا لأنني أديت نصيبي من الحب ولم يبق في نفسي شيء. أما أنت... فأنت لم تبدأ بعد».

زوجها وطفلها. أكان لدى روبي زوج وطفل؟ وقد قتلا؟ لم يكن يعلم ذلك... لماذا لم يعلم ذلك؟ إنه لم يسألها قط. لأن ذلك لم يكن من شأنه.

كما أنها لم تتدخل قط في خصوصياته. فلماذا الآن؟

- أتقولين لي إن عليّ أن أقع في الحب؟

غامر بهذا السؤال فكوفىء بضحكتها الخافتة، وهي نادراً ما تضحك، ما جعله يفكر... بماذا جعله يفكر؟ بقلّة ما يعرفه عنها؟ بهذا الاقتراح الجنوني الذي تقترحه؟ وقالت روبي: «إننا لا نتوقع معجزات هنا، لكننا، أنا وآدم وغلوريا، تصورنا أنه، بعد أن أنهيت أنت الاتفاقية مع شركة فورد بشأن تجارة الإنترنيت، لن يحدث أثناء الأسابيع القليلة القادمة شيء لا يمكننا التصرف بشأنه فإذا كنت جاداً حريصاً على سريان مفعول هذا الزواج، فأنت إذن بحاجة إلى إجازة. بحاجة إلى أن تذهب إلى استراليا».

فقال: «بضعة أيام لا تنفع».

فقالت: «هذا صحيح، بضعة أيام لا تنفع. ولكن أسبوعين ينفعان. لقد بحثنا الأمر، قضية أميرسن شكّلت سابقة. فقد ذهب العريسان أميرسن في شهر عسل لأسبوعين، ثم انفصلا ليعملا في بلدين مختلفين. أخذا يتصلان ببعضهما البعض هاتفياً مرة أسبوعياً، ويتصلان عبر الإنترنيت كثيراً. ثم مات هو وورثته زوجته. لكن أخاه أقام دعوة بشأن وراثة عقاره الريفي، مدعياً أن الزواج غير صحيح. لكن القاضي حكم بأن الزواج صحيح. وهكذا، هذه هي السابقة التي ستستند إليها أنت، أسبوعان في أستراليا، متبوعاً باتصالات هاتفية وبريد إنترنيت. إما هذا وإما عليك أن تنسى الزواج».

- أسبوعان؟

- على الأقل.

- لا يمكنني ذلك.

- بل تستطيع. أنت تعلم أن بإمكانك ذلك، إنها بنت لطيفة.

وسمع، بخياله، الابتسامة في صوتها.

- هي ماذا؟

- لا؟ أخبرني أنت عما هي أيضاً، يا ماركوس.

قالت روبي هذا برقة ووضعت السماعة دون كلمة أخرى.

تركته مرتبكاً للغاية.

عليه أن يتخلى عن هذه الفكرة حالاً.

وأخذ يفكر، عابساً، وهو ينظر إلى سقف الغرفة المذهب، ثم عاود التفكير في الأمر. بالاحرى حاول ذلك، لأن الأمور أخذت تختلط في ذهنه حقاً.

فكر في كيفية عثوره على بيتا الليلة الماضية.

فكر في الوضع الذي كان فيه. وكم جاهد للوصول إلى حيث هو الآن.

فكر في روبي، وكيف أنها لم تخبره، طوال تلك السنوات، عن زوجها وطفلها. ولماذا لم يسألها قط؟

فكر في بيتا، وكيف أمسكت بيديه وعانقته.

إجازة...؟ وما هو الضرر الذي سيحصل من إجازة أسبوعين؟

- الرماد يعود إلى الرماد، والتراب إلى التراب.

وقفت بيتا في المعبد المزخرف بشكل مبهرج، وأخذت تستمع إلى الكاهن وهو يتلو صلاة الوداع لعمتها الحبيبة هاتي.

لم يكن هناك غيرها. لم يأت تشارلز طبعاً. ونظرت إلى التابوت الخشبي البسيط، وجاهدت كي لا تفكر في حزن هاتي لو أنها عرفت بأن ابنها ليس هنا ليقول لها وداعاً.

أخذت، بدلاً من ذلك، تفكر في الأيام السعيدة. في هاتي التي عرفتها وأحبتها... في هاتي التي كانت لها بمثابة الأم مدة طويلة.

لكن الأيام السعيدة رفضت الظهور. فقد أحزنها إلى حد بالغ أن هاتي تُدفن هنا بدلاً من أن تُدفن في استراليا. كرهت كل شيء. أن تُرغم على الزواج من رجل غريب كي تحمي ميراثها، من رجل لم تستطع أن تعرف دوافعه.

الزواج! بدت لها هذه الفكرة جنوناً... إنها جزء من الكابوس الذي عرفته أمس. لا بد أن شعورها نحو ماركوس ناتج عن الألم والحبوب المنوّمة قاتلة الألم، أما اليوم فما هو إلا ذكرى غائمة.

كل ما تفكر فيه اليوم هو هاتي.

كان التابوت أمامها. وكان الكاهن يتمم آخر مباركاته، ملقياً على بيتا نظرة اعتذار أثناء ذلك. كان رجلاً رقيقاً. وقد أدرك أنها متألمة لهذا التأبين المختصر، لكن لديه ثلاث جنازات غيرها عليه أن يقوم بها هذا الصباح.

أُقفل الستار أمام التابوت. وانتهى التأبين.

- ستكون مسرورة حقاً لحضورك.

جعلها هذا الصوت المألوف تقفز. وعندما شعرت بيد ماركوس على كتفها، لم تكن لديه فكرة عن أنها أوشكت على دفن وجهها في كتفه لتبكي. ماركوس ذكرى غائمة؟ يبدو أنها مخطئة، لأنه حقيقي... حقيقي تماماً.

- مار... ماركوس.

- عدت إلى الشقة فوجدت أنك خرجت. ثم اتصلت روبي بي وقالت إن مراسم التأبين قد بدأت. آسف لعدم الحضور في وقت مبكر.

- ولكن... لماذا جئت؟

www.elromancia.com

– فكرت في أنك ربما بحاجة إلى . . . سندٍ ما . وتصورت أيضاً أن هذه هي وظيفة الزوج .

وابتسم برقة ابتسامة أوشكت أن تدمّرها : «أنت أحببتها» . كان هذا إعلان وقائع وليس سؤالاً ، فأومأت .

– كنت أقوم بشيء من الأبحاث .

ونظر متردداً إلى آخر الغرفة المتواري خلف الستار ، وكذلك هي ، عندما سمعت صوت عجلات . إنه تابوت يفسح طريقاً للتالي . وجاهدت بيتا لتركز اهتمامها على ما كان يقوله :

– لم تعد عمتك إلى الولايات المتحدة ، إلا بعد أن مرضت . وذلك بناء على إلحاح تشارلز .

قال لها ذلك وكأنه يفتش عن تأكيد لنتائج أبحاثه . فقالت بكآبة : «كانت استراليا وطنها ، لكن تشارلز أرادها أن تموت هنا» .

– لماذا؟

فهزت كتفيها : «ألا يمكنك أن تتكهن؟ لقد قام بزيارة خاطفة إلى استراليا عندما أخبرها الأطباء بأن حياتها قصيرة . وأصرّ على أن تأتي معه . وأظن أن هاتي ، حينذاك ، شعرت بنوع من الرضا لأن ابنها يهتم بها ما جعلها توافق على أي شيء . وهكذا جاءت . وكنت كلما اتصلت بها تقول إن الأمور ممتازة . وإذا بها تتوقف عن الاتصال بي ، كما كان تشارلز يمتنع عن إجابة اتصالاتي . تملكني قلق بالغ حتى لم أعد أحتمل ، وهكذا جئت إلى هنا» .

لم تذكر أنها أنفقت كل مدخراتها ، كل شيء . وكان ماركوس يتأملها بهدوء ويرى اكتئابها ، فسألها : «وتشارلز؟ ألم يكن يهتم بها كما يجب؟» .

– وما رأيك؟ طبعاً لم يكن يفعل ذلك . . . كانت استرالية وهذا يعني أن ليس لديها ضمان صحي وبالتالي لم تكن تخضع لعلاج . فازدادت صحتها سوءاً إلى حد كبير وكان قد وضعها في دار حقير لرعاية المسنين وهجرها . وعندما رأتني كان سرورها لا يوصف . كانت مشتتة الذهن فأحضرت لها طبيباً وجد أن الأمر قد فات على تأثير الأدوية . فقد أحدث السرطان تغيراً في مستوى الكالسيوم لديها ، كما قال الطبيب ، لكنها ، على الأقل ، كانت تدرك أنني هنا . وقد ماتت بعد

أسبوع من وصولي .

– بعد أن غيرت وصيتها لصالح ابنها .

فهزت رأسها والكآبة توشك أن تقهرها : «كان ذلك حقها» .

فقال عابساً : «أظنني سأستمتع بهذا العرس» .

وعندما نظر إلى وجه بيتا الشاحب قرر أن يخفف من غضبه . كانت هناك جنازة أخرى في الانتظار ، فهذا ليس بالوقت ولا المكان المناسبين .

– دعيني أقدم لك طعاماً .

– لا ، أشكرك .

كان مجهز الموتى يقترب منهما الآن ، وهو رجل صغير قلق ، يريد أن يخليا الغرفة لكي يأخذ الاحتفال الحزين القادم مكانه . نظر إلى ماركوس بفضول واضح ، ثم اتسعت عيناه وقد عرفه : «ماركوس . . . ماركوس بنسون؟» .

– نعم .

ومدّ ماركوس يده يصافحه فزال القلق الذي كان في ملامح الرجل وقال : «على مهل . الجنازة التالية ستصل الآن ولكن لا داعي لأن تستعجلا الذهاب» .

– سنفعل ذلك ، شكراً .

قال ماركوس هذا لكن بيتا اتجهت نحو الباب : «عليّ أن أذهب» .

– إبقي .

– لـ . . . لا .

فسألها برقة : «أتخافين مني؟ تعلمين أن الخوف ليس أساساً للزواج؟» .

– أنا لست خائفة منك . حتى أنني لا أعرفك ، وهذا ليس أساساً للزواج ، هو أيضاً .

– لا . . لا . وهنا المشكلة .

– وهل هناك مشكلة؟

– نعم ، هناك .

– حسناً ، إذن . . . ؟

وألقت نظرة مترددة أخرى على الستار وكأنها غير واثقة مما إذا كان عليها أن تغادر . ولكن في الخارج مجموعة من المشيّعين ، وكان مجهز الموتى قد عاد ليقف

بجانب الباب ينتظر باحترام.

وفكرت بيتا في أن هاتي لم تعد وراء الستار. لقد رحلت. وربما مستقبلها هي أيضاً قد رحل. لقد قدم إليها هذا الرجل حلاً جنونياً غير عملي. ماذا كان يقول؟ إن هناك مشكلة؟ وتمالكت نفسها: «حسناً، إذن. لا حاجة بك حتى لأن تخبرني ما هي المشكلة. لأن فكرة الزواج كلها هي جنونية وغير عملية. إنني بحاجة لأن ألحق بموعد الطائرة غداً، كما أنني واثقة من أن لديك عملك. شكراً لقدومك هذا الصباح، وشكراً لاستضافتي الليلة الماضية. أنا... أنا شاكرة جداً. لقد... لقد كنت بحاجة فعلاً إلى شخص ما».

- أيّ شخص؟

فابتسمت: «لقد كنت بالغ الشهامة واللطف».

- شكراً.

- حسناً، لا تحصل الفتاة كل يوم على عرض زواج من رجل في مثل أناقتك.

ونظرت إلى مجهز الموتى وابتسمت تطمئنه: «لا بأس، نحن ذاهبان» ومدت يدها تهز يد ماركوس هزة الوداع القوية، ثم تابعت سيرها بسرعة قبل أن تنهار.

عليها أن تخرج من هذا المكان بسرعة: «الوداع».

تمتمت هذا واستدارت مبتعدة قبل أن يرى وجهها... لكنه لم يكن ليدعها تذهب، فأمسك بيدها وعاد يديرها لتواجهه.

- لا.

- لا؟

فقال: «مشروع الزواج ما زال قائماً. قالت روبي إن بإمكاني أن أتزوجك».

وابتسم لها تلك الابتسامة الجانبية المحيّية بشكل محيّر:

- حسناً... أتقول إن مساعدتك منحتك إذناً بالزواج؟

- لا.

وألقى نظرة على مجهّز الموتى عبر الغرفة. كانت أذنا الرجل مرهفتين فعلاً: «مممم... نعم. لقد قامت روبي بعمل مجهد. قامت بكل ما نحتاجه من اجراءات. طلبت منها أن تعرض الوصية على اثنين من محامي شركتنا، سيذهب الأمر سدى إذا تزوجنا دون أن نُسقط الوصية».

- يذهب سُدى؟

- نعم.

ومدّ يده نحو مجهز الموتى يهدئه قائلاً: «خمس دقائق فقط».

ثم عاد إلى بيتا: «يعتقد المحامون أنه إذا أنت تزوجتني ثم رحلت غداً وبقيت أنا هنا، يمكن، حينذاك، أن يعترض تشارلز قائلاً إن الزواج كان مهزلة».

فاتسعت عيناها: «وماذا تقول أنت؟ أتريد القول إن علينا أن نتمم الزواج؟».

قال لها ماركوس بابتسامة عريضة: «لا، ليس علينا أن نتمم الزواج».

- حسناً، هذا مريح.

- تصورت أنك ستقولين هذا.

ابتسمت، كانت ابتسامة ضعيفة. كانت المرة الأولى التي تبتسم فيها هذا النهار ما أشعرها بتحسن.

كانت شاكرة للغاية لهذا الرجل، رغم أن خطته الجنونية لم تثمر، وكان وجوده معها هذين اليومين قد خفف أعباءها بشكل بالغ.

وأرغمت نفسها على التركيز على الجانب العملي: «هكذا إذن لن نتمم الزواج، ماذا سنفعل؟».

- روبي تقول إننا بحاجة إلى شهر عسل. يبدو، قانونياً، أن علينا أن نمضي بعض الوقت معاً إذا شئنا أن نبدو متزوجين حقاً. لقد أنهيت لتويّ معاملة استغرق إتمامها ثلاث سنوات. قالت لي روبي إنني لم آخذ إجازة منذ عشر سنوات، وأظنها على حق. لقد حذرتني لتوّها من أنني إذا لم آخذ إجازة سأسقط ميتاً لشدة الجهد، وعلى كل حال... إذا كنت تريدين شهر عسل... إذا شئت، يمكنني أن أعود معك إلى استراليا لأسبوعين.

فحدقت إليه بذهول: «أنت تمزح».

- أنا لا أمزح أبداً.

- أتريد أن ترافقني إلى بلدي؟

فعاد يبتسم: «لا حاجة بك إلى قول ذلك وكأنني كلب متشرد».

- لا أريدك.

- يا لعرفان الجميل!

فهزت رأسها: «آسفة. لا. لست آسفة. لا أريد زوجاً».

فهز كتفيه وهو ما زال يبتسم: «وأنا أيضاً لا أريد زوجة. لكن روبي تقول إنني عرضت ذلك عليك وعليّ أن أتابع الأمر. إنني لم أذهب إلى استراليا أبداً».

- هذا جنون. لا يمكنك أن تأخذ عطلة لأسبوعين لأجل امرأة غريبة.

- يمكنني ذلك لأجل العطلة.

- أتعني أنك ستذهب سائحاً أو ما أشبه؟

- روبي تقول إن عليّ أن أمكث في مزرعتك.

- أتريد أن تمكث في مزرعتي؟

- لا.

- إذن...

- لكنني مستعد لذلك.

فهزت رأسها: «ماركوس، لا أظنني أستطيع التكيف مع هكذا التزام».

- يمكنني أن أتفهم ذلك، ولكن ربما... إذا كنت متلهفة إلى المزرعة، عليك أن تبتلعي كبرياءك وتتقبلي مساعدتي.

وابتسم وأمسك بيديها وأخذ يتأملها بنظرات قوية واثقة مرغمة: «هل أنت من القوة بحيث تقبلين هذا؟ الأخذ صعب، يا بيتا. أنا أعلم ذلك ولكن... ربما ليس لديك خيار آخر».

وتلاشت ابتسامته، ربما كان بنفس اضطرابها، ولكنه لم يكن يظهر ذلك.

نظراته تقول، ثقي بي. أنبأتها نظراته بأنه يعرف الاتجاه الذي عليها أن تسير فيه، وعليها فقط أن تدعه يستلم القيادة. وتفعل ما يقوله.

وبالنسبة إلى بيتا، التي لم يستلم أحد قيادة أمور حياتها، بدا هذا الاحتمال، فجأة، جذاباً بشكل لا يقاوم.

- دون شروط؟

- دون شروط.

- سأحيك لك جوربين في عيد الميلاد.

- هذا سيكون جميلاً جداً.

- أنت لم تر حياكتي.

- لكنك ستقبلين؟

- ليس لدي خيار. إنني شاكرة جداً، إنني أكره اضطراري إلى الشكر، ولهذا أظن... عليك أن تعتاد على استعمال الجوربين!

أشار إلى مقهى حيث طلب لها الفطائر والقهوة فلم تمانع حتى أنها أكلت شيئاً من ذلك.

أكلا بصمت. وكانت تشعر بأنه يراقبها... وأنها تحت التقييم... ولكن لم يكن هناك ما تفعله إزاء ذلك.

- ماذا حدث لوالديك؟

سألها أخيراً فشعرت بقلبها يتلوّى. بدا وكأن بإمكان هذا الرجل أن يقرأ أفكارها. إحساسها هذا كان مثيراً بشكل لا يصدّق.

- ماتت أمي، وهي تلد هاري، بحمّى النفاس. أما أبي فقد قتل عندما انقلب به التراكتور (الجرّار) منذ عشر سنوات.

- ومنذ ذلك الحين أنت على هذا الحال؟

- على هذا الحال؟

- أعني المعيلة.

- كانت هناك هاتي.

- هل كانت هاتي ترعاكم؟

- كنت في السادسة عشرة.

- إذن، لم تكن هاتي ترعاكم؟

- كنت قوية. استطعت إدارة المزرعة، وقد أحببت هاتي جداً. لكنها كانت مقعدة بسبب التهاب المفاصل.

- دعيني أفهم جيداً. كنت في السادسة عشرة عندما أصبحت وحدك في المزرعة مع أربعة أولاد، كم كان سن كبيرهم؟

- كان دانييل في الحادية عشرة.

- وابن عمتك تشارلز؟

- إنه أكبر مني بكثير. لقد غادر المزرعة قبل أن يموت أبي. وقد أرسلت هاتي

إليه حصتها من أرباح المزرعة، وكنا لا نراه إلا إذا كان يريد مزيداً من المال. ولم تكن هي تعلم... لم تكن هاتي تفهم كيف كان ناجحاً. فقد كان دوماً بحاجة إلى المزيد من المال.

لكن ماركوس لم يكن يهمه مدى نجاح تشارلز. كان مهتماً ببيتا: «إذن، كنت في السادسة عشرة. هل كنت ما تزالين في المدرسة؟».

- لم يؤلمني ترك المدرسة، فأنا أعشق المزرعة.

- أتعنين أنه كان عليك أن تتركي المدرسة؟

- نعم، اضطررت لذلك.

- وماذا عن الوقت الحاضر؟

- أنا أدير مزرعة ناجحة حقاً.

- هل يساعدك اخوتك؟

- طبعاً، فقط دانييل وكريستوفر في الجامعة الآن. وليم في مدرسة خاصة في المدينة، دانييل سيصبح بيطرياً، وكريستوفر سنة أولى حقوق. وليم ذكي لامع، فقد حصل على منحة دراسية إلى مدرسة خاصة بالأولاد الموهوبين.

- ولكن... هل تموّلينهم جميعاً؟

قال هذا بفزع فهزت رأسها: «لا. جميعهم يساعدون أثناء العطل المدرسية».

- ولكن في بقية الأوقات ليس هناك سواك؟

- وهاري.

واتسعت ابتسامتها وهي تفكر في طفل الأسرة: «هاري عظيم. ستحبه...».

لكنها سرعان ما استدركت الأمر، وغيّرت الجملة: «سيعجبك».

- متى أراه؟

- لا حاجة بك لرؤيته.

- بل كل الحاجة وأظنني شرحت لك ذلك، أين هو هاري الآن؟

- إنه مختبئ في جامعة دانييل. لقد شعر بالتعاسة لسفري. إنه في الثانية عشرة فقط، وهكذا فكرنا في أنه إذا أقام مع أخوته سيكون أسعد. الأولاد رائعون

وهم يعتنون به. لكنني بحاجة إلى العودة.

- هذا ما أراه. هل تحملين كل هذا العبء على كتفيك..؟

- هيه... إنها أسرتي. ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني؟

ماذا كان سيفعل؟ ونظرا إلى بعضهما البعض.

ظنته تحوّل عنها... وأنه سيهرب. أي رجل يقبل عن طيب خاطر أن يقطع مسافة ألف ميل ليرى المسؤولية التي تحملها؟

لكنه لم يهرب وإنما نظر من فوق كتفها وابتسم، فالتفتت إلى نافذة المقهى فرأت روبي تلوّح لهما بيدها من الرصيف.

أشار ماركوس لها بالدخول ثم عاد يتابع حديثه مع بيتا بصوت فيه دعابة: «ماذا كنت سأفعل؟ سأخبرك. سأسلمك إلى روبي لتجعلك عروساً، لديّ معاملة عليّ أن أنهيها وبعد ذلك أصبح حراً. سأتزوجك وأعيدك إلى استراليا لأسبوعين، وذلك بشرطين».

- وما هما؟

- أن لا تجعليني أحلب الأبقار! وأن لا تسلميني مسؤولية الصبي ذي الثانية عشرة ربيعاً.

إذا كان ماركوس ذا شخصية قوية فعّالة، فقد كانت روبي أسوأ. لقد طردت ماركوس ليعود إلى عمله، ثم أعطت بيتا فكرة عامة عن خطتها التي تركت بيتا مذهولة. كان لدى روبي صورة عرس حقيقي ولا شيء يحبط عزيمتها. والعرس سيكون جاهزاً في أربع ساعات.

وقالت بيتا بارتباك: «يمكنني أن أتزوج بثوبي هذا».

لكن روبي لا تقبل شيئاً كهذا.

- نصف نساء العالم يتمنين الزواج من ماركوس بنسون، بينما أنت سترتدين ثوباً عادياً؟

وابتسمت روبي تخفف بذلك من لهجة الانتقاد في صوتها، ثم تتابع: «ماركوس يقدم إليك خدمة كبرى يا بيتا، على الأقل عليك أن تتقبلي ذلك بالأسلوب المنتظر من العروس».

بدا هذا معقولاً. لكن هناك شيئاً واحداً وهو أن عليها أن تتنازل عن

كبريائها، فقالت: «لكنني مفلسة».

فترددت روبي لحظة ثم قالت: «لقد أعطاني ماركوس شيكاً بمبلغ ضخم لأنفق على مظهرك لأجل العرس، طالباً مني أن استعمله بشكل رقيق وحساس لكنني لا أعرف كيف، سوى أن أخبرك بأنك تؤدين لنا جميعاً معروفاً بقبولك هذا».

شيك بمبلغ ضخم! وجذبت بيتا نفساً عميقاً: «أظنني أخبرته...

- نعم، أنت أخبرته، فقد قال لي أمس إنه جرح إحساسك. قال إنه حاول أن يلبسك ثوباً تبدين فيه فتاة مجتمع، فقذفت بالثوب في وجهه.

- أنا لم...

- حسناً، لو كنت مكانك لفعلت هذا أيضاً، وقد ازداد تقديري لك لهذا العمل. ولكن رفض الأثواب الاجتماعية يختلف عن رفض ثوب الزفاف.

- إنه ليس... لا أرى أن...

فقالت روبي بلطف: «أنت ستتزوجينه. وأنت تعلمين هذا. ولا حاجة بك للشعور بالذنب لقيامك بذلك. لأن ماركوس لن يتزوج أية امرأة أخرى أبداً».

- ولكن ليس بإمكاني أن أقبل نقوده.

قالت بيتا هذا متكدرة فأخذت روبي يدها تشدّ عليها.

- بل يمكنك ذلك، إنك بهذا تقدمين لماركوس خدمة حقيقية.

- وكيف لي أن أقبل ذلك؟ هذا شيء مضحك. أنا لا أعرف شيئاً عن ماركوس. وها هوذا يهدد بأن يستلم حياتي.

- إنه لا يفعل ذلك... بل يورّط نفسه فقط، وهذا لأول مرة في حياته.

- لا أدري ماذا تعنين.

- ألا تعلمين شيئاً عنه؟

- لا، ما عدا أمه الفظيعة. ولكن إفسادها حياته، لا يعني أن عليه أن يبقى عازباً طوال حياته.

- أتعلمين؟ لقد اشترك في حرب الخليج.

طرفت عينا بيتا. لقد ذهب ماركوس في السيارة التي أحضرت روبي إلى هنا. لكن طيفه ظل يرافقهما. ما زال كوب قهوته على المنضدة أمامهما، فوجدت بيتا

نفسها تحملق فيه وكأن لديه بعض الأجوبة، وكان هذا مضحكاً.

قالت روبي: «أتعلمين أن ماركوس من أسرة فقيرة؟».

ما علاقتها هي بذلك؟ وأجابت: «لقد أخبرني بذلك».

- هل أخبرك بأنه استثمر أول دولار اكتسبه بنفسه؟ إنه ماهر في استثمار المال كما أنه ذكي. علمه أحد أزواج أمه الكومبيوتر فلم يتركه أبداً. لقد استثمر أمواله في مجال الانترنت قبل أن يسمع به الناس. لكنه لم يستطع أن يهرب من ماضيه. كان أكثر الأولاد حرماناً. اختفت أمه من حياته حين كان في الثانية عشرة، ومنذ ذلك الحين عاش وحيداً حقاً. وكافح في الحياة بأسنانه وأظافره. وعندما طردته آخر الأسر التي كانت ترعاه، انخرط في الجيش، والله وحده يعلم لماذا. أتصور أنه لم يكن ينتمي إلى أيّ مكان. ربما مثّل له الجيش حساً بالانتماء. أو ربما لم يكن يهتم بأن يعيش.

- روبي... هذا فظيع.

- هذا كان سبب التحاقه بالجيش. لا يفترض بي أن أعرف ذلك، كما تعلمين، لكن ضابطاً في فرقته جاء لزيارته ذات يوم وكان ماركوس خارج المدينة. كان داريل أمضى وقتاً صعباً في الجيش فقد كان يحمل آثار جروح سيئة للغاية. ودعوته إلى مشاركتي الغداء، وبذلك عرفت كل ما عاناه ماركوس. قال داريل إنهم رأوا كثيراً من الموت. وأنه في بداية الحملة كان ماركوس شاباً متفوقاً يملك حسّ الفكاهة، ولكن كلما رأى مزيداً من الموت، كلما ازداد هدوءاً. ثم وقعت كتيبته في شرك، فقُتل معظمهم. أما بالنسبة إلى ماركوس فقد كانت تلك هي النهاية. لقد كبت ذلك في أعماقه ولم يتحدث عنه قط، وانطوى على نفسه. وهكذا عاد من الجيش وركز اهتمامه على بناء إمبراطورية أذهلت العالم. هذا كل شيء. والآن، دورك أنت.

حدقت بيتا إلى هذه المرأة والاضطراب في عينيها: «والآن دوري أنا؟ وما علاقتي بهذا؟».

فقالت روبي: «إنه مهتم بك. لأول مرة يهتم بامرأة، إنه يهتم بما يحدث لك. يهتم حقاً. إنه يفكر في خيرك وسعادتك وعرض عليك الزواج حتى ولو كان الزواج سيستمر أسبوعين فقط. أنت العروس الوحيدة التي سيحظى بها في

حياته، فكري في هذا، يا بيتا. هل تفكرين حقاً بالتراجع ورفض عرضه في أن يجعلك عروساً؟ ألا تظنين أن بإمكانك أن تمثلي حقاً هذا الدور؟».

- ولكن... كيف؟ ولماذا؟

ابتسمت روبي ومدت يدها على المائدة تمسك بيدي بيتا: «كل ما أعلمه أنه توقف عن إنتاج المال لمدة أسبوعين. وافق على أن يهتم بك قليلاً. أظن... إذا كنت تريدين أن تردي إليه جميله إجعلي إجازته هذه ممتعة».

- ممتعة؟

- تعلمين أن هذا شرعي وبالنسبة إليّ... فقد أعطاني ماركوس شيكاً بمبلغ ضخم لكي أنظّم العرس».

وترددت، ثم تغيّرت ملامحها وهمست: «تعلمين أنني كنت أماً لطفلة، مرة. لو كانت «آمي». حيّةً الآن لكانت بمثل سنك، وكنت سأشتري لها ثوب زفاف».

حدّقت بيتا إليها ذاهلة. هنالك متطلبات أينما كان. ليست متطلباتها فقط؟ ولا متطلبات إخوتها، بل هناك ما يخص ماركوس، والآن أصبح هناك روبي، فقالت: «إذن، ليس أنا وماركوس فقط من يحتاج إلى وقت ممتع؟».

بدا الألم في عيني روبي: «هل سبق وانفردتما ببعضكما البعض؟ أنا عرفت مشقة الوحدة. لا متعة في ذلك. إنما اليوم... ربما اليوم حتى الأسبوعين التاليين، يمكننا، جميعاً، أن نسقط الحواجز».

وعادت إليها ابتسامتها، وبدا في عينيها لمحة من توسل: «إذا شئت، إذا سمحت لي، ما أحب حقاً أن أقوم به، هو أن أجعلك أجمل عروس رآها العالم... أنظري كم سننجز في عدة ساعات ثم...».

وبدا المكر في عينيها: «سأكتب بيدي أجمل دعوة على أجمل بطاقة عرس مذهبة وأرسلها لتسلّم باليد إلى تشارلز هيغنز... مكتوباً عليها (مستعجل)».

- هل أنت أيضاً تكرهين تشارلز؟

- لا أطيق ذلك الرجل.

ووقفت روبي وهي تبتسم لبيتا متحدية: «حسناً، ما رأيك؟ هل ستضعين مخاوفك جانباً وتحصلين على شيء من المتعة؟».

- أتعنين أن أقوم بدور العروس كاملاً؟

- سيكون هذا عظيماً. بإمكان ماركوس أن ينفق على ذلك فهو ثريّ جداً. ثم أن يُقام عرس... عرس حقيقي، في أربع ساعات أمر ممتع، أليس كذلك؟

حدقت بيتا إليها وهي لا تفهم ما يحدث، شاعرة بأنها لا تستطيع السيطرة على نفسها. ولكن إذا كانت لا تستطيع السيطرة على نفسها إلى هذا الحد، لماذا لا تكمل الطريق؟ لماذا تتمسك ببقايا كرامة كان من الصعب الاحتفاظ بها؟

وهمست: «عروس بثوب أبيض؟».

فقالت روبي باسمة: «كل شيء يسير بنجاح. إنني أعرف المكان».

- هذا جنون.

- لكنه رائع!

- سيهرب ماركوس إلى آخر الدنيا.

- ماركوس ملتزم، وسيفي بعهوده. دعينا ننجز جميع الأمور. أنا أعرف أين يسكن رئيسه الضابط... إنه يبعد من هنا نصف ساعة. هل تقبلينني وصيفة شرف لك والضابط داريل شاهداً للعريس؟ وأراهن على أن تشارلز سيأتي. سيأتي متوقعاً أن يرى مهزلة، لكنه سيرى عرساً حقيقياً ناجحاً.

- عرساً حقيقياً ناجحاً؟

- دعينا نعمل على ذلك، لمَ لا؟

وأمسكت بيد بيتا توقفها على قدميها. ونظرت عبر الشارع إلى مبنى دفن الموتى وأجفلت: «الحياة للأحياء. هيا بنا».

٥ - زوجان.. في أسبوعين!

تأخر ماركوس. ما إن وصل إلى مكتبه حتى وجد كومة من الاعمال بانتظاره. وبدا له الرحيل إلى استراليا مستحيلاً في مثل هذا الوقت القصير.

لكن روبي سبقته فجعلت المستحيل ممكناً. بدا وكأن كل موظفيه مصممون على إخراجه من هنا.

هكذا، وبشكل ما، نجح في ذلك. ولكن حتى مهارة روبرت في القيادة، لم تجعله يصل إلى المدينة في الوقت المناسب. فتأخر عشر دقائق...

- أرجو أن لا تكون عروسك قد سبقتك.

وعندما نظر ماركوس إلى وجه سائقه في المرآة، رآه ضاحكاً. فسأله: «كم من الناس بالضبط يعرفون أنني سأتزوج اليوم؟».

فقال روبرت ضاحكاً: «أظن العالم بأجمعه. لم يكد هاتف المكتب الخارجي يكفّ عن الرنين. لا أظنك كنت تنوي إقامة عرس هادئ؟».

لا. لم يكن ينوي ذلك.

ماذا سيحدث إذا كان هناك تصوير؟ ماذا لو سمعت الصحافة بذلك؟ وأخذ يدعو الله أن تكون روبي نجحت في إقناع بيتا بشراء ثوب زفاف.

وقفت بيتا في المكتب الخارجي لمحكمة العدل، تشعر بأنها معتوهة. ومع ذلك، ويا للغرابة، مسرورة... خفيفة، حرة.

كانت روبي على صواب... فقد كان ذلك متعة كبرى. لقد ذهبتا إلى أفخم متجر في نيويورك لملابس الأعراس، وعندما أخبرتهم روبي أنهما مستعجلتان، وأن العرس هو عصر هذا اليوم، وأن بيتا ستتزوج ماركوس بنسون وأن الثمن غير مهم، سارعوا إلى تلبية طلباتهما.

أما بيتا، التي عاشت في كابوس فترة طويلة، فقد وافقت على الفور،

فأخذت تجرب الأثواب واحداً تلو الآخر. وأخيراً كان الثوب الذي اختارتاه بسيطاً، من الحرير الممتاز، وعاجي اللون ذي حمالات دقيقة للكتفين وفتحة فسيحة حول العنق. بدا الثوب وكأنه صُنع لها خصيصاً، بثنيات تصل إلى الكاحلين.

وقفت أمام المرآة فأخذت روبي تتأملها بعينين دامعتين ثم تقول بصوت خافت: «نعم!».

اشترت الحذاء الأبيض المناسب وجاء مزين الشعر الذي وضع عصابات بيضاء بين خصلات شعرها البني المحمرّ، ثم زيّن وجهها بالقليل من التبرج.

- آه، يا عزيزتي، أنت لست بحاجة إلى زينة أكثر ولديك هذه البشرة التي لونتها الشمس. تبدين رائعة الجمال.

وكان هذا صحيحاً، فهي لم تعرف بيتا التي أخذت تحدّق إليها في المرآة.

ثم التفت مزينو العروس إلى روبي، عندما ألحت بيتا: «ما دمت أنا ألبس كل ذلك، فلا بد أن تظهري أنت بمثل هذه الأناقة».

وبعد أن أخذت روبي تمانع، إنما ضاحكة، اقتنعت بأن تشتري لنفسها طقماً باهت الزرقة من قماش «الشنتنغ». الفاخر. وكانت العاملة وجدت لها قبعة صغيرة جميلة مع حذاء مناسب. ووجد المزيّن وقتاً قص فيه خصلات شعر روبي آخر طراز فانتهى الأمر بها لتصبح مذهلة مثل بيتا.

أحضر فريق الزينة في قاعة التجميل سيارة ليموزين بيضاء مزينة بأزهار الأوركيد الأبيض لنقل بيتا وروبي، ثم انطلقت بهما السيارة لملاقاة ماركوس على الموعد.

عند وصولهما، علمتا بأن ماركوس لم يحضر بعد. لكن داريل، ضابطه، كان هناك. يرتدي زيه العسكري كاملاً وكان يبدو رائعاً حتى أن بيتا لم تلاحظ آثار الحروق على وجهه.

قال لها داريل: «أنا سعيد حقاً لأجلكما. إن ماركوس يستحق شخصاً يسعده، فقد كان طيباً للغاية معي...».

وقطع كلامه وسكت، فشعرت بيتا معه، وقطعت هي أيضاً كلامها.

قالت بيتا تسأل روبي: «هل أنت واثقة من أنه سيحضر؟».

فمنحتها روبي ابتسامة تقول إنها هي أيضاً متوترة مثلها.

- أنا واثقة من ذلك، وإلا سيكون عليك أن تتزوجي داريل.

هذا عظيم! ونظرت بيتا من النافذة إلى الشارع. كانت هناك مجموعة من المصورين عند مدخل الباب، ينتظرون، كما يبدو، حضور شخص هام. وقد كانوا هنا حين وصلت. وكانوا يتجاهلون بيتا التي تلا وصولها ثلاث عرائس، ولكن يبدو أن المصورين كانوا ينتظرون شخصاً آخر.

نظرت بيتا إلى باقة الأزهار بين يديها ولم تستطع أن تتصور ما تفعله. وتمتمت: «هذا جنون... إنه حلم جنوني... لا أستطيع أن...».

ثم سكتت، فقد وقفت سيارة تعرفها نزل منها روبرت، ثم ماركوس.

كان ماركوس يبدو وسيماً جداً وقد ارتدى بذلة سوداء وضع في عروة سترتها زهرة أوركيد بيضاء.

إنه... زوجها؟

كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تمنع نفسها من الهرب حفاظاً على حياتها. لكن روبي كانت تمسك بيدها، بابتسامة عريضة، وكأنها ربحت اللوتو. وكان داريل واقفاً بين بيتا والباب.

انفتح الباب، فرآها. وظن لحظة أنه أخطأ المكان. كان يتوقع مكتباً روتينياً خلفه موظف، وبيتا مرتدية «طقماً» محترماً أقنعتها روبي بشرائه.

وبدلاً من ذلك... بدلاً من ذلك، كانت لديه عروس.

جمد مكانه. وجد نفسه للحظة مريعة يعود إلى كابوس طفولته. إلى أعراس أمه البغيضة المتلألئة المتوهجة. لكن ذلك لم يكن سوى... انطباعاً مؤقتاً، فما يرى أمامه ليس كابوساً. كانت بيتا تتحدث إلى روبي لكنها التفتت حين دخل فرفعت بصرها إليه وابتسمت.

حتى هذه اللحظة كان يظن أن كل حفلات الزفاف هي كوابيس. لطالما شعر بالألم كلما تذكّر أمه مرتدية ملابس متألقة مزخرفة. لكن هذا كان مختلفاً. فقد كان ثوب بيتا بسيطاً لكن جماله يخطف الأنفاس.

كانت بيتا كذلك رائعة الجمال. لقد اتسعت ابتسامتها واشتبكت عيناها بعينيه. وفي تلك اللحظة، تلاشى شعور ما داخل ماركوس وتبخر وكأنه لم يكن

موجوداً. إنه الظن أن لا شيء أو لا أحد يمكن أن يهزّ عواطفه.

لم يكن يظن أبداً أنه يوجد امرأة بهذا الجمال.

ربما لم يكن جمالها من النوع الذي تصفه الصحف الملوّنة، كما أخذ يفكر ورأسه يدور. ما زال شعرها كتلة كثيفة من الخصلات الملتفة بشكل حلقات. كانت خنساء الأنف كما كان ثمة نمش على وجهها جراء تعرضها للشمس. لكن ثوبها... كان ثوبها يبرز روعة قوامها ويجعله يبدو كسحابة من الحرير الأبيض، والشرائط البيضاء التي تتخلل شعرها الجميل كانت أروع جمالاً من أي نقاب.

لا، لم يكن ثوبها... لم تكن الأشياء التي تزين العروس، إنما عيناها... ابتسامتها، الطريقة التي نظرت بها إليه والتي هي مزيج من الاعتذار، والجرأة، تريده أن يشاركها هذه اللحظة، تريده أن يضحك، يبتسم.

كانت تبتسم وتبتسم. وكان هذا كافياً ليجعل قلبه يترنح، قلب ماركوس بنسون الراسخ الذي لا يمكن مسّه.

وكانت قد استغنت عن عكازتيها فبدت... كاملة.

لا. كيف يمكن أن تكون كاملة؟ الكمال وهم... جنون، فليركّز على شيء آخر بدلاً من تلك الابتسامة.

لم تكن ابتسامة بيتا هي وحدها التي افتقدته صوابه. فقد كانت روبي هناك أيضاً. روبي التي لم يستطع تمييزها بداية في بذلتها الناعمة الزرقة التي جعلتها تبدو... أكثر أنوثة.

كانت روبي قد تحدثت عن رجل وبنت في ماضيها، لكن روبي اشتغلت معه سنوات دون أن تذكر شيئاً عن حياتها الخاصة. فلماذا انسلخت عن ماضيها مع دخول بيتا إلى حياتها؟

ثم هناك داريل. كيف عرف داريل بهذا؟ وكان داريل، عادة، رجلاً صارماً متوسط العمر عانى الكثير في حياته. فقد تركته زوجته أثناء عذابه المبرّح تحت عمليات ترقيع الجلد، وكانت الصدمة النفسية لا تزال عميقة بسبب أحداث الخليج فلم يكن هناك ما يدفعه إلى الابتسام. إنما الآن، فقد كان داريل في ملابسه العسكرية مبتسماً، وكأن هذا عرس حقيقي...

وهذا غير صحيح، والفكرة نفسها سخيفة... سخيفة تماماً!

لكن بيتا لا تزال تبتسم له. وعندما اتجه نحوها، تأبطت ذراعه متشبثة بها وكأنه أصبح زوجها، كان في هذا لفتة خالصة، وكان ذلك كافياً ليهرب منها إلى آخر الدنيا. ولكن كان هناك ثلاثة أشخاص يبتسمون له... بل أربعة. كان العالم كله ينتظر ليرى إذا كان بإمكانه أن يقوم بهذا الالتزام الزوجي.

لكنه حدث نفسه بأن هذا ليس التزاماً، هذا الزواج كان عبارة عن وثيقة تافهة، حبر على ورق، لا أكثر.

عليه أن يتمالك نفسه بحزم. عليه أن لا يبتسم. عليه أن ينتهي من هذا الأمر بسرعة. ولكن عبوسه سيبدو غباء، حتى أنه قد يعتبر قسوة عندما يتوقع منه الجميع ابتسامة.

حدّق إلى بيتا مرة أخرى وكان ذلك كافياً، فقد تقوست شفتاه ولمعت عيناه، ثم ابتسم...

ابتسم لأجلها فقط. وأمسك يدها بحزم ودون أي تردد، ثم استدارا إلى الرجل الذي كان ينتظر ليزوجهما. لقد قدما تعهداتهما، رجل وزوجة.

- «أعلنكما الآن زوجاً وزوجة...».

لمدة أسبوعين؟

لقد نسيا تشارلز.

وكانت روبي رتبت أمر دعوته ولكن لم يفكر فيه أحد بعد ذلك. وما إن تلاشت الكلمات الرسمية، وحدّق ماركوس في عروسه، حتى أذهله ضخامة ما حدث، فقد انفتح الباب بقوة ودخل تشارلز هيغنز.

لم يكن غاضباً وحسب. كان الرجل على وشك أن يصاب بالسكتة. وقف في العتبة وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما. بذلته الثمينة المؤلفة من ثلاث قطع كانت تبعث على الاعتقاد بأنه ذو منصب كبير، ولكن الغضب الذي كان واضحاً على ملامحه، أظهره وكأنه مجرم تافه، «بلطجي». وعندما التفتت بيتا لترى القادم، اندفع نحوها مباشرة.

كان سيضربها، وكان قد ضربها من قبل. هذا ما اكتشفه من نظرة واحدة. رأى بيتا تجفل، ثم تستجمع قواها.

لقد عاش هذا الرجل مع بيتا، كما فكر عابساً. لقد كان في ماضي ماركوس

ما يكفي من العنف ليجعله يميّز وجوده بسهولة، ويتصرف بسرعة. وبحركة سريعة كانت بيتا أصبحت خلفه، ليحميها بجسمه من غضب ابن عمتها.

- أنت يا...

وانحرف تشارلز جانباً وكأنه يريد أن يمسكها، لكن ماركوس كان أسرع منه، فقد أمسك بكتفيه بيدين من فولاذ.

- ماذا تظن نفسك فاعلاً بحق السماء؟

- تلك القذرة!..

كان تصرف تشارلز بعيداً عن التعقل، فقد جاء إلى هنا راكضاً وكان يلهث فاقد الاعصاب. حاول أن يدفع ماركوس عنه لكنه لم ينجح. وإذ تملكه الارتباك، حاول أن يشرح الأمر: «دخلت مكتبي بعد الغداء فإذا بي أتلقى هذه».

وتراجع مفلتاً من قبضة ماركوس وتناول الدعوة من جيبه: «هذه! لا أدري كيف غشتك...».

فقال ماركوس بصوت بارد كالثلج: «لم يغشني أحد».

- لا بد أنها فعلت ذلك، تلك القذرة، التي...

- اسكت. أنت تتحدث عن زوجتي!

كان لهذه الكلمة وقع انسكاب دلو من الماء البارد عليه... فأجفل تشارلز: «هذا مستحيل. بيتا... زوجتك؟ ولماذا أردت أن تتزوجها؟».

تمالك ماركوس نفسه، وقال: «هذا كلام مهين كريه».

- بل هي الكريهة. إنها تفعل هذا فقط لتسلبني ما هو حق لي. المزرعة ملك لي، وقد كلفني جرّ السيدة العجوز إلى هنا إزعاجاً كبيراً..

- أخرج.

والتفت ماركوس إلى الموظف الحكومي الذي كان واقفاً فاغراً فاه، يحدق بذهول وحيرة: «هل لديك رجال أمن في المبنى؟».

فقال تشارلز بصوت يشبه فحيح الأفاعي: «لقد تلقيت دعوة».

- الدعوة ملغاة.

- وكذلك زواجك. زواجك؟ هذا الزواج هو أضحوكة. إنه غير قانوني.

لا يمكنك أن تتزوجها فقط لكي تستولي على أملاكي. سأطالب بفسخه.

– في نيتي أن أتزوج بيتا وسأعيدها إلى استراليا.

قال هذا متعمداً الغموض.

ثم، عندما اندفعت بيتا من خلف ماركوس، وضع ذراعه حولها وجذبها إليه فوقفا متأبطين ذراع بعضهما البعض، كزوج وزوجة. وقال بلطف ناظراً إلى تشارلز: «سآخذ بيتا إلى وطنها بكل إكرام».

– أنت لم يسبق لك... أنت لن...

– بل سأفعل. ثق بذلك.

ونظر إلى داريل: «داريل، إذا لم يكن هناك رجل أمن للتصرف مع هذا... فهل لك أن تساعدني على طرده من هنا؟».

– بكل سرور.

وأضافت روبي: «وأنا سأساعد».

فقالت بيتا: «هيه، وأنا أيضاً. سأضربه».

فقال ماركوس: «العرائس لا يضربن أحداً».

فابتسمت: «ألا ينبغي هذا؟».

– لا، بكل تأكيد.

– كلام فارغ.

فقالت روبي تذكرها: «لديك شيء آخر تقومين به. شيء هام».

ونظرت روبي إلى تشارلز وكأن هذا لا أهمية له على الإطلاق: «إذا كنت انتهيت مما لديك لتقوله؟».

– لم أنته بعد. سيكتب إليكم المحامون لدي.

وتراجع إلى الباب حين تقدم داريل خطوة نحوه، فقال ماركوس له: «أرجو أن يكونوا أفضل سلوكاً منك».

ثم تحوّل عنه إلى روبي: «ما الذي نسيت عروسي أن تفعله؟».

عروسي... بدت هذه الكلمة غريبة... إنها تصريح عن نيّة... تصريح يمنع محامي تشارلز من إيذائها.

كانت هذه إشارة إلى حماية خالصة، كما أخذ ماركوس يفكر مستفظعاً،

متسائلاً عن مصيره؟ لكنه لم يستطع منع نفسه من أن يقولها ويشعر بها.

نظر إلى وجهها. وعندما صفق داريل الباب خلف ابن عمتها البغيض، رأى أنها بمثل اضطرابه. كان يقدّم إليها الحماية، لكن بيتا كانت ترى أن الرغبة في الحماية هي عبارة عن شعور مجهول.

حدث نفسه بأن مشاعره هذه هي وهم. لكن هذا كان في الظاهر فقط، ليقنع تشارلز بأن زواجه حقيقي.

لكن تشارلز ذهب الآن، ولم يعد بحاجة إلى أن يخدع أحد، ومع ذلك ما زال ممسكاً بها ولا سبيل إلى أن يتركها، لا سبيل إلى ذلك!

وعاد يسأل روبي: «ما الذي نسيت أن تفعله؟».

روبي هي التي جمعتهم معاً، نظرت إلى الموظف الذي كان لا يزال واقفاً مذهولاً لما حدث في العرس من مقاطعة فظة.

وقالت فجأة: «هل يمكننا أن نتابع؟».

فتوقف الرجل عن التحديق إلى الباب المغلق، وابتسم: «حسناً، أين كنا؟ آه، نعم، أنا أعلم. أنا الآن أعلنكما زوجاً وزوجة».

وجذب نفساً عميقاً وابتسم لهما، متقلاً نظراته بينهما.

ثم قال: «انتهى الأمر، ما عدا الختام. مسك الختام».

واتسعت ابتسامته: «يمكنك الآن أن تعانق العروس».

لا. صدرت هذه الكلمة من تلقاء نفسها. لا! لكنه لم يلفظها، بل استطاع، بشكل ما، أن يكبحها...

حدّق ماركوس إلى بيتا، فرأى الذعر في عينيها. وكان الذعر ذاته الذي يشعر هو به.

أخذ الواحد منهما يفكر في الآخر بذهول وكأن ليس منهما من يصدق أنهما وصلا إلى هذا. وأن هذه الخطة العنيفة قد رست بهما فجأة في هذا المكان، حيث على ماركوس أن يرفع ذقنها ليشبك نظراته بنظراتها ثم يعانقها بحرارة.

لم يكن يريد أن يفعل ذلك... لم يكن...

لكنه كان يكذب، فقد كان يريد ذلك أكثر من أي شيء آخر في العالم.

مجرد عناق، كما حدث نفسه بعنف. وهو لا يعني أكثر من توقيعهما على

قطعة ورق.

ولكن، عند حصول العناق، وجد ذلك أكثر بكثير. وتغيّر عالمه في هذه اللحظة.

شعر بأن صدمة كهربائية قد شوشت دماغه. ماركوس بنسون الهادئ البارد الذي لا يفعل شيئاً دون التفكير فيه ملياً، ماركوس هذا لم يحدث قط أن سمح لنفسه بأن يخرج عن اتزانه الكامل.

وفجأة، لم يعد متحكماً في نفسه. لا. لم يعد متحكماً في نفسه منذ عرفها، لكن ذلك ازداد الآن إلى حد كبير. وشعر حين اشتبكا في عناق حار بأن التيار الكهربائي الذي سرى بينهما بإمكانه أن يقذف به بعنف بالغ إلى الجدار البعيد.

ولكن، يا ليتها تتجاوب معه، لأنه لن يستطيع أن يتركها أبداً.

كان قد وضع يديه حول خصرها يجذبها إليه، قليلاً فقط، لكن حرارة جسدها أصبحت فجأة عنيفة. ولم يعد يستطيع إبعاد يديه عنها، وكأنهما قد وجدتا موطنهما الأصلي.

شعر بأنوثة المرأة فيها. أحس بذلك المد والجزر الذي كان يميل نحوه ويتراجع. هي التي وجدت فيه موطنها ومع ذلك بقيت مستقلة عنه.

كانت تميل إليه ومع ذلك كان يعلم أنها مرتبكة مثله إزاء هذا الشعور... هذا الشعور الذي لم يستطع أن يحلله. ولم يكن لديه ما يقارنه به.

كان هذا كثيراً. لم يعد يستطيع التفكير، كان غافلاً عن تلك المجموعة الصغيرة من المتفرجين. روبي وداريل والموظف الرسمي... وكان الكل يتأملهما. كل ما كان يحس به هو حرارة العناق، وخفقان قلبه. وكيف أن قلبه القاحل المجدب أصبح فجأة ذكرى بعيدة!

- أنا واثق من أنكما ستكونان سعيدين جداً جداً.

صدرت هذه الكلمات عن الموظف الذي كان ينتظر، بابتسامة عريضة، أن يصافح ماركوس والعروس قبل أن ينتقل إلى احتفال آخر.

لم يستعجلهما، إلا أن العناق استغرق وقتاً طويلاً.

تراجع ماركوس قليلاً ويده لا تزال حول خصر بيتا. حدّق إليها دائخاً، فبادلته التحديق ورأى تشتت ذهنه منعكساً في عينيها.

- أنا لم...

- أنا آسف...

قالا هذا لبعضهما البعض فقال الموظف بنفس ابتسامته العريضة: «لا لزوم أن يعتذر الواحد منكم للآخر».

وكان يمد يده ليأخذ يد ماركوس منتظراً أن يترك هذا خصر بيتا: «لا حاجة للرجل أبداً أن يعتذر لعناق زوجته. والحياة كلها أمامك».

وأمسك بيد ماركوس يهزها بينما هذا يحاول أن يتمالك نفسه، ويستعيد سلامة عقله. ثم استدار الموظف وصافح بيتا ليبعدهما عن بعضهما البعض، متيحاً لماركوس العودة إلى الواقع.

ثم انتهت الرسميات، وتراجع الموظف وهو يبتسم: «ها قد انتهى كل شيء. آسف لتلك المقاطعة التي حصلت أثناء الاحتفال ولكن لا يبدو أنها أفسدت تلك اللحظة. أقدم لكما تهاني الحارة».

ونظر إلى ساعته خلسة، لكنها كانت رسالة لهم جميعاً.

- هناك بعض الأوراق للتوقيع في المكتب الخارجي. تهاني يا سيد وسيدة بنسون. وأهلاً بكما إلى حياتكما الجديدة.

أثناء الساعة التالية، كان ماركوس يتحرك بشكل آلي. وقّع السجل، وتقبّل التهاني. وواجه الصحافة، باسماً دوماً.

وتناول وجبة طعام، الله يعلم ما هي، في مطعم كانت روبي قد حجزت لهما فيه احتفالاً بالمناسبة. ثم أصغى للخطبة الحيّة التي ألقاها داريل، وابتسم. نعم، ابتسم. وبجانبه ابتسمت بيتا أيضاً. وبدت ابتسامتها مصطنعة كابتسامته تماماً.

وأخيراً، انتهت الشكليات. وقالت روبي لرئيسها: «سنستقل، أنا وداريل، عربة تأخذنا إلى البيت».

وأخرجت من حقيبة يدها مغلفاً: «هذه تذكرتا سفر وجواز سفرك. وكل المستندات التي ستحتاجها أثناء الأسبوعين التاليين، ستقلع الطائرة غداً الساعة التاسعة صباحاً».

فقالت بيتا: «طائرتي أنا ترحل غداً مساء».

فقالت روبي: «سمحنا لأنفسنا بتغيير موعد سفرك. أنت لم تتذوقي سوى

القليل من الشهرة اليوم لأن الزواج حدث فجأة ولهذا كان حضور الصحافة خجولاً، لكن زواج ماركوس سيحتل «مانشيتات». الصحف غداً صباحاً. حاولت الصحف الاجتماعية أن تزوج ماركوس منذ صنع مليونه الأول».

فقال داريل باسماً: «وقد وقع الآن في الفخ، هذا عظيم».

لكن ذلك لم يكن عظيماً. وقالت بيتا عابسة: «أنا لم أنصب فخاً لأحد. هو الذي تقدم إليّ من نفسه».

فقالت روبي وهي تتناول حقيبة يدها: «ويمكنه أن ينسحب بعد أسبوعين».

ونظرت إلى داريل وهي تقف: «هل نترك صيادي السمك هذين معاً وحدهما؟».

فقال داريل ضاحكاً: «فكرة جيدة».

وصافح ماركوس وبيتا: «تابعي هزّ صنارة الصيد تلك. ماركوس أحسن رفيق في العالم وهو بحاجة إليك أكثر مما يعلم. تابعي الهزّ إذن حتى تمسكي به جيداً. كل الحب الذي في العالم ملك لكما».

ثم أصبحا وحدهما. وكان في المطعم غرف منفصلة تمنح عزلة تامة. وكان داريل وروبي قد رحلا وبقي ماركوس مع بيتا.

يا ليتها ليست بهذا الجمال، أخذ يفكر بيأس. ويا ليتها لم تكن بهذا العجز أو الضعف... أو بهذا...

- أنا بحاجة إلى أن أخلع هذه الملابس. أشعر وكأنني تسلّقت إلى قمة قالب «كاتو».

هي على صواب، فهذه الثياب سخافة، وهما بحاجة إلى العودة إلى حياتهما العادية... إلى أن يزيلا آثار العرس. لكن ماركوس كان يشعر بشيء من الأسف في صوتها، وربما هذا هو شعوره كذلك، كانا يعودان إلى العالم الحقيقي، وآلمهما هذا.

ربما بإمكانه أن يؤجل الأمور. فقال لها: «حتى سندريللا تأخرت حتى منتصف الليل. هل تحبين أن تمددي الحكاية؟».

فجمدت مكانها: «أفعل ماذا؟».

- أنت ستغادرين نيويورك غداً دون أن تحققي رغبتك في الدوران حول

«الحديقة العامة المركزية». على ظهر حصان؟ أتحبين أن تفعلي ذلك؟

حدقت إليه وكأنه فقد عقله، ثم ضحكت وهي تشير إلى ثوب الزفاف: «في هذا؟».

- أفضل حكاية تنتهي ببهاء بالغ، هل تثقين بي؟

قال هذا غير واثق بصواب ما يفعل.

- لا أثق بأحد يقدم حكايات خرافية.

قالت هذا لكن الابتسامة التي رافقت كلماتها فضحتها: «لطالما كان «الأمير الساحر». في الحكايات فارس أحلامي».

وفجأة، رأى أنه يبتسم، هو أيضاً. لم تطلب منه شيئاً طوال هذه المدة. وهي لن تتعلق به. وبإمكانه أن يبقى معها ثم يرحل عنها بعد أن قدم إليها خدمة العمر.

- إذا وعدتك بأن لا أكون أمير الأحلام...

- لا أظنك ستكون حتى ولو حاولت.

- شكراً.

- العفو.

- ما رأيك إذن، أتحبين أن تستمتعي؟

تستمتع؟... تعلقت هذه الكلمة بينهما. حدّق إليها وعرف بالغريزة أن هذه الكلمة كانت غريبة بالنسبة إليها بقدر ما هي غريبة بالنسبة إليه.

تستمتع... ها! كانت تصغي إليه مائلة الرأس وكأنها تصغي إلى صدى هو من البعد بحيث لا تكاد تسمعه.

- أتريدنا أن نستمتع؟

أحقاً أراد هذا؟ ما الذي يورّط نفسه فيه؟

أخذ يتساءل بعنف. يا ليتها لا تلبس هذا الثوب!

لكنها تلبسه، ولم يكن لديه خيار. فقال: «نعم. أريد ذلك، أريد أن ننسى كل شيء عن إمبراطورية بنسون المالية وعن مزرعة أوشوناسي وأمثال تشارلز عصر هذا اليوم. أنت ترتدين ثوباً من الحكايات الخرافية وأنا لم أتزوج قط في حياتي. هل يمكننا أن نهز عصانا السحرية ونجعل ذلك يدوم أكثر بقليل؟».

كان بإمكان تلك الابتسامة أن تدفئ زوايا في قلبه لم يكن يعلم بوجودها

قبلاً .

- لا بأس .

وتأبطت عروسه الجميلة ذراعه بثقة ، مطالبة بحقها في التملك الذي كان هو طالب به حين منحها اسمه .

- لا بأس يا سيد بنسون . سألتصق عصر هذا اليوم بحكاية ساندريللا . أنا و«الأمير الساحر» الذي هو ليس فتى الأحلام . وأنت ساندريللا المزيفة بقدمها العرجاء المتورّمة .

- فلنخرج إذن إلى نيويورك ونحصل على المتعة .

أخذها إلى «الحديقة العامة المركزية» . حيث أنزلهما روبرت عند عربة يجرها حصانان أشهبان يصهلان . رفع الحوذي يده محيياً فأشار إليه ماركوس بأن يقترب ثم سأله : «كم تريد أجراً؟» .

فقال الرجل بابتسامة عريضة :

- إلى أين؟

- نريد أن نرى الحديقة بكاملها .

فازدادت ابتسامة الحوذي اتساعاً ، وحك رأسه : «حسناً» .

وكان الناس يتجمعون وهم يرون العروسين الجميلين . وعاد الحوذي يقول : «حسناً ، إصعدا» .

بالنسبة إلى بيتا ، مرّت الساعات القليلة التالية بسرعة الدوّامة . لقد انتقلت إلى عالم خيالي لا مستحيل فيه ، حيث رأت نفسها جميلة مرغوبة محبوبة ، وبدلاً من الكدح اليومي الشاق ، رأت نفسها بملابس سحرية رائعة ، وحصانين أشهبين ، ومشاهد الحديقة المركزية ، وأناس يلوّحون بأيديهم للعروسين .

كانا ينزلان من العربة أحياناً ، لكي يستطيع ماركوس أن يريها الأشياء التي تعجبه . وعندما كان كاحلها يعيقها ، كان يحملها بكل بساطة ، فيسرّ المشاهدين متجاهلاً صراخها واحتجاجها . وقفت عند لوحة الفسيفساء فسارع السواح إلى إلتقاط صورها . تفرجت على الحيوانات في حديقة حيوانات الأطفال فالتقط صورتها مزيد من الكاميرات . وقفت على جسور صغيرة وصخور في ممرات التنزه وضحك ماركوس متسائلاً عن حرمانه من الصور .

وأثناء كل ذلك ، كان الحوذي ينتظر بصبر ويبتسم بلطف . كانا طلبا من روبرت أن يتركهما ويعود بعد ساعتين ، ولكن مضت ثلاث ساعات قبل أن يتأكد من أن عروسه قد اكتفت . فاتصل بروبرت وأخبره بأن لا ينتظرهما .

وأخيراً ، جعل حوذي عربتهما ينزلهما قرب مكان يعرفه . . . وكان هذا مطعماً صغيراً يقدم طعاماً لذيذاً للغاية ، حيث شربت بيتا وأكلت طعاماً لم تذق مثله في حياتها .

كانت متعبة . بالكاد كانت تتكلم . لم تتكلم طوال فترة العصر تقريباً . لكنها كانت تستوعب ما يحدث وتتشربه ، وكأن كل ذلك كان يحدث لامرأة أخرى وليس لها .

أكلت طعامها ورأسها يدور بينما ماركوس ينظر إليها بابتسامة خفيفة . رأته ، هو أيضاً ، يتصرف بشكل خيالي . ولم تعترض . وفكرت عندما سكب النادل لهما القهوة أن على هذا أن ينتهي . ابتدأت فرقة موسيقية في العزف . كانت موسيقى جميلة ناعمة بسيطة . ونهض ماركوس وتلك الابتسامة الخفيفة لا تزال على شفتيه وهو ينظر إليها متسائلاً . إنه يشاركها عدم تصديق ما يحدث لهما .

- أتحبين أن ترقصي؟

أتريد أن ترقص؟ أدهشتها تلك الفكرة . . . هل تريد ذلك؟

- لا أريد . . . لا أستطيع . . بالنسبة إلى كاحلي .

- بل تستطيعين . ثقي بي . ستلقين وزنك عليّ . اتكئي عليّ . يمكننا ، هذه الليلة ، أن نفعل أي شيء .

نهضت . وأخذت تنورة ثوبها الطويلة الواسعة تلتف حولها . جذبها ماركوس إلى ما بين ذراعيه ، رافعاً الثقل عن كاحلها ما جعلها لا تكاد تشعر به . وألقى الموسيقيون نظرة على هذين العروسين اللذين يتوسطان باحة الرقص ، ثم شرعوا في عزف موسيقى الوالتز الخاصة بالأعراس .

هذا ما كان ينقصهما! واختنقت بيتا من الضحك ودفنت وجهها في كتف ماركوس .

- أتضحكين؟

ودار بها في أنحاء الباحة ، وبشكل ما ، انسجمت خطواتها مع خطواته .

وكأنهما يعرفان الباحة من قبل. أما بيتا، التي لم تسنح لها الفرصة للذهاب إلى المراقص من قبل، فقد عرفت كيف ترقص دون تعليم.

- يا لنا من مخادعين!

همست بذلك على كتفه فشعرت به يتصلّب قليلاً، ثم يضحك بصوت خافت: «لا بأس ما دمنا نعرف، نحن الإثنين، هذا».

- متى سيأتي رويرت؟

- لديه فرصة حتى منتصف الليل على الأقل. ولكن هل لي أن أسأل إذا كنت ستتركين عنواناً إذا فكرت بأن ترمي خلفك فردة حذائك كما في الحكاية؟

- عنواني هو (مزرعة روزيللا، يورالا، استراليا). وهكذا لن تضطر إلى قياس الحذاء لتجد صاحبته سندريللا. لأن هنالك نساء كثيرات بين يورالا ونيويورك ستضطر إلى قياس الحذاء البلوري على أقدامهن جميعاً.

- وربما هذه الحكاية لن تتحقق بحذافيرها هذه المرة بحال وجدت فتاة قدماها أصغر.

جمدت مكانها وهبطت نظراتها إلى حيث كانت قدمها اليمنى تطل من تحت ثوبها. كان كاحلها مضمداً. وقد حل صالون العرائس المشكلة بأن ألبسوها في قدمها اليمنى فردة حذاء يمنى يزيد قياسها على اليسرى بثلاث درجات. فتمتمت: «يجب أن أتذكر أن أتخلى عن فردة الشمال كيلا يدركني النحس، أو يدركك أنت. ربما ستنتهي مع عروس يبلغ وزنها مئة كيلو غرام».

فقال ضاحكاً: «ولكن ربما نحتاج إلى إعادة كتابة الحكاية. وفي الواقع، أنا واثق من أننا سنضطر إلى ذلك. لأنك، بدلاً من أن تسافري وحدك، عليك أن تأخذي معك «الأمير الساحر». أنا ذاهب معك إلى موطنك».

وعندما أخذ يؤرجحها مرة أخرى في أنحاء باحة الرقص، لاحظت أثراً خفيفاً من الرضا في صوته. رباه، ما الذي تورطت فيه؟

جذبت نفسها إلى الخلف: «هيه، علينا أن لا ننجرف اكثر».

ركزت اهتمامها الآن، طاردة غبار الحكايات من ذهنها: «هذا ليس حقيقياً. لا شيء من هذا حقيقي».

- لا، ليس حقيقياً.

لكنه لم يتوقف عن الرقص. دورة أخرى فقط! كان يحتضنها بشدة حتى كاد يحملها. وكان يضع رأسه على جدائلها. لأن عليه أن يمسك بها جيداً ليرفع الثقل عن كاحلها المصاب، وهذا هو السبب الوحيد لذلك، أخذت تفكر بعنف.

وهمست: «ربما علينا أن نعود إلى البيت».

- البيت؟

- أعني إلى شقتك. أعني.. أنت إلى النادي.

- لا أظن بإمكاننا أن نفعل ذلك الليلة. إننا متزوجان.

- إذن؟

- إذن، هناك مخبرو الصفحات الاجتماعية في الصحف يراقبوننا. أتريدينهم أن يعلموا أننا نمنا منفصلين في ليلة زواجنا؟

- نعم.

- أنا واثق من أنك لا تعنين ذلك.

وفكرت بالأمر للحظة. لقد كان مأزقاً حقيقياً، فمشاعرها الجسدية كانت تحتكر كل تفكيرها، حتى أنها لم تترك مجالاً لأي شيء آخر.

- أتعني... بسبب تشارلز؟

- ومن غيره؟

طبعاً، ماذا يمكن أن يعني غير ذلك؟ يا لها من حمقاء! لو أن بإمكانها فقط أن تفكر بتعقل! لو أنه فقط ليس قريباً منها إلى هذا الحد!

- هكذا، إذاً تعتقد أننا بحاجة إلى... إلى أن نبقى في نفس المكان؟

- هذا صحيح.

- ولكن...

- لدي في غرفة الجلوس أريكة يمكن تحويلها إلى سرير، فلا تقلقي.

- أنا لست قلقة.

وكان هذا صحيحاً. فلا مكان للقلق وهي تشعر بما تشعر به.

- إذن، فأنت ترين أن علينا أن نعود إلى البيت؟

- بعد دورة رقص واحدة.

همست بذلك فشدّد من احتضانها، ورأته يبتسم: «ما رأيك في ست

دورات؟».

انتهت الحكاية الخرافية عند باب الشقة الأمامي، فقد أحضرهما روبرت إلى البيت ثم ساعد ماركوس عروسه على النزول من السيارة، وعندما زلّت قدمها المصابة، رفض أن يصغي إلى احتجاجها وهو يحملها بين ذراعيه ويدخل بها شقته صافقاً الباب خلفه.

أصبحا وحدهما وكانت الأنوار خافتة، بينما هو يقف في مدخل الردهة حاملاً فتاة بين ذراعيه... عروسه، بينما هي تحدّق إلى وجهه بعينين لامعتين ببراءة حلوة.

كانت شهية للغاية. ثم هي زوجته! إن بإمكانه أن يعانقها الآن هنا.

- كلا، يا ماركوس بنسون. أنزلني إلى الأرض حالاً.

قالت هذا وهي تتململ بين ذراعيه.

- ظننت...

- أعلم ما ظننته، فأنا أراه في عينيك.

- بيتا...

- كنت أعلم أنك ستطلب شيئاً.

ثم عادت تتململ حتى أرغمته على إنزالها.

- أنا لا أريد شيئاً.

فسمّرته بنظراتها: «أتقول إنك لا تريد أن تأخذني إلى السرير؟».

هذا جلّ ما تمناه، ورأت ذلك في وجهه إذ لم يستطع التحكم بملامح وجهه بسرعة. لكنه قال بلطف: «ها! أنا لم أتزوجك لآخذك إلى السرير».

- صحيح، فقد تزوجتني لتسدي إليّ معروفاً، إنما الآن بعد أن تزوجنا...

فقاطعها باسماً: «سيكون ذلك هبة. أتقولين إنك لا تفكرين في ذلك؟».

- لا أريد أن أذهب معك إلى السرير.

- لا؟

- لا!

- لكن هناك تجاذب جسدي قويّ بيننا...

فقالت بحدة: «وكذلك بين المرأة والرجل، والقطة والقط، والكلب

والكلبة. عندما تكون مرتدياً هذه البذلة الرائعة، وتعاملني كما عاملتني اليوم، طبعاً سيكون هناك تجاذب. ولكن لا سبيل في العالم كله إلى أن أنام معك».

- لماذا لا؟

وكان هذا سؤالاً منطقياً، حسب رأيه، لكنها ترى عكس ذلك: «ستكون حماقة بالغة مني إذا وقعت في غرامك».

- لماذا؟

- فكّر في ذلك، أيها الفتى الذكي.

ورفست حذاء العرس من قدميها: «ليس لسندريللا حياة على الإطلاق. أنا ذاهبة لأنام. هل أنام أنا على الأريكة أم أنت؟».

- يمكنك أن تأخذي السرير.

- حسناً، إذن.

قالت هذا ودخلت غرفة النوم وهي لا تكاد تعرج، وأغلقت الباب خلفها... تاركة إياه... مصعوقاً.

* * *

كانت ليلة لا نوم فيها. وكيف يمكنها ذلك؟ لقد استلقت على سرير ماركوس البالغ الاتساع، وأخذت تنظر إلى ضوء القمر وهو يتموج على ثوب عرسها الموضوع بعناية على كرسي بجانب السرير.

ثوب عرس! لقد كان لها عرس... وستكون لها صور. كان هناك الكثير من آلات التصوير موجهة إليها، هذا النهار. ربما ذات يوم، بعد مرور سنوات، سترى تلك الصور وهي تقلب صفحات مجلة قديمة.

صور حكايتها مع ماركوس «أميرها الساحر».

هل يحلب «الأمير الساحر» البقر؟ ربما لا. وفي الواقع، جعل من ذلك أحد شروط الزواج. وجعلتها هذه الفكرة تضحك بصوت خافت. إن عليها أن تنام لأن غداً سيكون يوماً متعباً آخر.

لكن لا يفصلها عن ماركس سوى هذا الجدار.

حدثت نفسها بأنه تزوجها... وأنها زوجته الآن.

وتساءلت عما إذا كانت تريد أن تذهب معه إلى السرير لتسدّد له دينه عليها!

لا، ولكن... إنها تشعر نحوه بانجذاب بالغ.

وعادت تحدث نفسها بأن ذلك سيكون كارثة، لكن نفسها عادت تصرخ بها بأن تبتلع مبادئها وتنسى منطقها ثم... فهي تدين له بالكثير ولكنها لا تدين له بقلبها. وأسرّت إلى نفسها بأنها تملك سريره واسمه لكنها لا تملكه هو.

ونظرت إلى ثوب عرسها السابح في ضوء القمر. وفكرت في ماركوس.

بدا لها واقعاً بعيداً للغاية.

أراد أن يحلم.

وكان ماركوس مستلقياً في الظلام، فأخذ يحدق في السقف. كان مسطحاً، مملاً، لا يجذب الاهتمام. وهو نفسه كان كئيباً ضجراً.

كان هذا النهار مختلفاً تماماً. لقد شعر اليوم بأنه تغيّر، وكأن الحياة، بشكل ما، أصبحت تساوي شيئاً.

تفكير أحمق! استلقى إلى الخلف على وسائده وأخذ يفكر في كل تلك الأعراس التي كان يحضرها في طفولته. أمه لامعة العينين في ثوب العرس الأبيض، وهي تعده بكل ما في العالم: «هذه المرة، سيأخذنا بعيداً عن كل هذا. إننا نبدأ الآن حياة جديدة، يا ماركوس».

هذا ما كانت تقوله له، مرة بعد مرة.

آه، نعم، ... وكانت مجرد أحلام. في كل مرة كانت الحياة الجديدة تبدأ قبل أن تنتهي كعكة الزفاف... كئيبة مخيفة دون تغيير.

وها هو ذا الآن قد أدركته الأحلام نفسها التي كانت أمه تلجأ إليها لتجعل الحياة محتملة. أعراس بثوب زفاف أبيض... حكايات خرافية.

حدث نفسه بأن من حسن الحظ أن بيتا لديها من الإدراك ما يكفيهما، هما الإثنين، وإلا لكانت الآن بين ذراعيه! وهي فكرة جنونية حقاً. أن يتزوجها هو شيء حسن، ولكن أن يعيشا الحب بصفتها زوجته... لا!

وقال يحدث السقف: «أنا واثق من أنني لا أحلم بنهاية الحكايات السعيدة. إن حياتي هنا».

وحيداً مع السقف... مهما كان الأمر.

كان بإمكانه أن يستعمل طائرة «الجت» الخاصة، لكن روبي قالت له: «أنت

تذكر كيف تصرفت بيتا بالنسبة إلى الملابس. إنها ستتصرف بنفس الشكل بالنسبة إلى الطائرة الخاصة».

- لقد وافقت على خطتك بشأن ثوب زفاف.

- كان ذلك حلماً، أما الطائرة النفاثة الخاصة فهي ستكون، في نظرها، سخافة.

- ولكن، يا لجهنم... الجلوس في قاعات المطارات...

- تواضع قليلاً وتصرف كشخص عادي.

- كنت أحد الاشخاص العاديين... لكنني تقدمت عنهم...

قال هذا عابساً، فأجابته: «حسناً، تظاهر بذلك مدة الأسبوعين التاليين».

وها هو الآن على طائرة تجارية مع احتمال التوقف خمس ساعات في طوكيو.

كانت مريحة بما يكفي!

من تراه يخدع؟ فقد كان مرتاحاً للغاية. ومنظر عيني بيتا الذاهلتين كان رائعاً حقاً، رغم أنه كان يشعر بأنها تتحكّم في سخطها لإنفاقه المال.

بيتا... عروسه!

وغامت المشاهد أمامه في لحظة.

٧ - سندريلا المتوحشة

ما إن نزلت بيتا من الطائرة حتى تغيرت. وكانت قد أمضت الساعات القليلة الأخيرة منطوية على نفسها، وأخيراً، عندما سمعت الإعلان عن شدّ أحزمة المقاعد استعداداً للهبوط، التفتت إلى ماركوس والحزم في وجهها: «شكراً جزيلاً. يمكنك أن تتوقف عن الإدعاء الآن».

- أتوقف عن الإدعاء؟

احمرّ وجهها قليلاً لكن صوتها أصبح أكثر حزماً: «أعني، كل أمور الزواج. أن تجعلني أسافر معك في الدرجة الأولى. شراء ملابس لي ومعاملتي كزوجة لك. كان ذلك رائعاً لكنك لست بحاجة إلى القيام بذلك بعد الآن».

- عفواً؟ لم أفهم.

فقالت بشبه ابتسامة تنم عن ضيق: «آسفة. ربما أسأت التوضيح. المسألة هي... حسناً، ليس هنا من سمع عنك. ولن يهتموا بما إذا كنا متزوجين أم لا».

- أتعنين... أتخبرينني أن أرحل من هنا؟

- أتظن حقاً أن تشارلز سيحاول التأكد مما إذا كنا معاً؟

- سيفعل تشارلز ذلك.

- وكيف؟

- يسهل استئجار تحر خاص بسعر زهيد مقابل الحصول على مثل هذه الثروة.

فكرت قليلاً ثم أومأت بحزم: «لا بأس. قد تكون على صواب. ولكن لا أحد يمكنه أن يدخل إلى المزرعة دون أن تهاجمه الكلاب. يمكنك أن تستعمل بيت هاتي، فقد كانت تعيش منفصلة عنا لكن منزلها في المزرعة كذلك».

- ألا تريدين أن أقيم معك؟

- ليس لدي غرفة للضيوف.

- لديك أربعة أخوة.

- ماذا إذن؟

- كيف ماذا إذاً؟ ما دام ثلاثة منهم لا يعيشون في البيت، لماذا ليست هناك غرفة زائدة؟

سكتت. ثم ابتسمت وعادت تقول: «يمكن أن تستعمل بيت هاتي. ولكن لندع كل شيء حالياً، لا أدري من سيستقبلنا الآن».

* * *

استقبلهما كل العائلة. هبطت الطائرة في ملبورن، وعندما خرجا من الجمارك توارت بيتا وسط مجموعة من الفتية حمر الشعر. رأى ماركوس أخوة بيتا معاً وقد بدا الشبه العائلي ملحوظاً بينهم، وعندما خرجت بيتا إليهم، ابتدأوا يعانقونها، وطال العناق حتى ظن أنه فقدها.

لكنها تحررت أخيراً، مشعثة ضاحكة. وشملتهم جميعاً بنظرة حنان. أربعة فتيان، ثلاثة منهم فوق الست أقدام طولاً يغطي وجه اصغرهم النمش، وتعد طريقة نموه بأن يزداد طوله قدماً على الأقل.

قالت لهم: «لقد اشتقت إليكم كثيراً. تعالوا وتعرفوا إلى ماركوس».

انفصل أكبرهم عن المجموعة. نحيف الجسم لم يكد يتجاوز سن المراهقة. تلاشت ابتسامته وبدا الجد على وجهه المنقط بالنمش كإخوته. أما شعره فأحمر كشعرهم، كان مظهر وجهه يشبه وجه بيتا عندما عرفها ماركوس لأول مرة... مظهر تمرد وضعف كان يحاول أن يخفيه. تقدم إلى الأمام وقبض على يد ماركوس بقوة أدهشت هذا الأخير.

- أنا دانييل. اتصلت بنا بيتا وأخبرتنا بما فعلته لأجلنا، نحن جميعاً شاكرون جداً.

وإذا بماركوس، الرجل العالمي المحنك، يجد نفسه يحمر خجلاً، تقريباً، من شكر مراهق له...

شكرهم جميعاً. وكانوا جميعاً ينظرون إليه وكأنه عفريتهم الخاص. وكانت بيتا تبتسم، ثم...

هذا يكفي! وقال بلهجة مطاطة: «أنا لم أفعل سوى أنني تزوجت أختكم. وهذه ليست تضحية ضخمة من ناحيتي».

فابتسم دانييل بخجل: «لا أعلم شيئاً عن ذلك، يا سيدي. فهي تصدر الأوامر دوماً».

فقالت بيتا بدهشة: «هيه!».

فتطوّع أصغرهم بقوله: «وكذلك هي فوضوية غير منظمة، ولا تترك المكان نظيفاً. كما أنها لا تطهو جيداً».

وتطوع الغلام الثاني، كريستوفر: «لكنها ماهرة في توليد الحيوانات».

قالت بيتا بفتور: «أقدم إليك إخوتي. دانييل وكريستوفر ووليام وهاري. من حسن الحظ أنك لم تعرفهم قبل خطوة الزواج الجريئة تلك، فيسردوا عليك قائمة بكل أخطائي وفضائلي، بما في ذلك توليد الأبقار».

ومدت يدها تمسك بأصغر إخوتها مرة أخرى وتحتضنه: «هل اشتقت إليّ؟».

- نعم.

وبدا الارتباك على الصبي لكنه تركها تحتضنه حتى أنه بادلها ذلك قبل أن يبعده عنها بكبرياء الذكورة، وهو يتابع: «هل يمكننا أن نذهب إلى البيت الآن؟».

فقال دانييل: «كم أنت شاكر! لقد تلقى هاري رعاية بالغة في الجامعة».

- ألم ينكشف أمرك؟

فقال دانييل: «كل شخص كان يعلم بوجوده، حتى الأساتذة، لكنهم لم ينطقوا بكلمة».

فقال هاري: «كنت حسن السلوك تماماً. بيتا، أنا مسرور حقاً لعودتك».

- لكي تعود سيئ السلوك مرة أخرى؟

- نعم.

فضحك الجميع. لكن الضحك كان متوتراً قليلاً، وكان ماركوس منتبهاً إلى أنه عرضة للتقييم مما أثار أعصابه.

- لا أظن أن لديكم جميعاً وقت فراغ لتعودوا إلى المزرعة؟

ألقت بيتا هذا السؤال فهز الثلاثة رؤوسهم: «إنها نهاية الفصل ولدينا امتحانات، ونعود بعد ثلاثة أسابيع لكي نصنع التبن، إلا إذا احتجت إلينا».

قال دانييل هذا وألقى على ماركوس نظرة جانبية فهم هذا منها الرسالة التي تقول: «إلا إذا احتجت إلى عون في استضافة هذا الغريب».

وكان دانييل يتابع قائلاً وهو ينظر إلى ساعته: «ولكن لدينا محاضرة عصر هذا اليوم. هل يمكننا أن نترك العفريت معك؟».

كانت بيتا تضع ذراعها حول كتفي الصبي بينما أخذ الأخوة الثلاثة الأكبر سناً ينظرون إليه بشكل يوحي بأن لا أحد منهم يعتبره عفريتاً. هذه الأسرة تنضح حناناً كما رأى ماركوس وقد تملكه شعور عذب دافئ جعل قلبه يلتوي لهفة. لكنه ليس هنا لأجل هذا. وكان دانييل يقول لأخته: «لقد أحضرت شاحنتك إلى موقف السيارات، لكنها لا تسعكم جميعاً».

- أظن ماركوس سيستأجر سيارة لأنني أشك في رغبته الإلتصاق بالمزرعة حيث يكون رهن إشارتي.

فسألها ويليام: «أليس لهذا وُجد الزواج؟».

- ويليام...

كانت لهجتها تحذره بينما كان هو يبتسم ابتسامة عريضة.

- هيه... ماذا علينا أن نعرف؟ لكنكما متزوجان... منذ متى؟ يومين؟

ضحك الجميع لكن التوتر بقي موجوداً...

كانت أسرة طيبة، طبعاً. وكيف لا تكون كذلك في حين أن بيتا هي... لا، عليه أن يكون واقعياً هنا. سيارة؟ ونظر إلى أوراق سفره واثقاً من أن هناك وثيقة لاستئجار سيارة. ولكن...

وقال لهم: «ربما هذه السيارة ليست واسعة بما فيه الكفاية لنا جميعاً، هي أيضاً. إنها سيارة «سبورت»..، روبي تعرف ما أحب».

فسأله هاري وهو يبعد يد أخته عنه: «أي نوع من سيارات «سبورت»..؟».

- إنها (مورغان ٤/ ٤).

- سيارة مورغان؟

وكادت عينا هاري تخرجان من محجريهما: «هل استأجرت سيارة مورغان ٤/ ٤؟ بيتا، أنت تزوجت رجلاً يستأجر مورغان».

- أنت هادئ للغاية، أليس كذلك؟

وغمزت ماركوس، الذي كان ينظر متأملاً، بعينيها، فتبدد التوتر: «أظن هذا يحل المشكلة. أيمكننا أن نتناول جميعاً وجبة سريعة لمعرفة آخر الأخبار؟ ثم نذهب؟ سأقود أنا الشاحنة بينما يتبعنا ماركوس وهاري في... ماذا قلت اسمها؟ مورغان؟ والآن، فلنتحرك».

وهكذا، بعد مرور ساعة، وجد ماركوس نفسه يسافر جنوباً على طريق «نيو ساوث ويلز». الساحلي، ليس مع عروس أحلامه، سندريللا، ولكن مع تلميذ مدرسة هزيل لا ينفك يلقي عليه أسئلة بسرعة ميل في الدقيقة.

كلما ابتعد مع هاري، جنوباً، كلما ازداد حيرة وارتباكاً. بدا له أن هاري تقبل تفسير بيتا لهذا الزواج بأنه ضربة عظيمة موفقة من الحظ الحسن... هذا الحظ الحسن الذي كان يتجلى في ذوق ماركوس في هذه المورغان الزرقاء الرائعة.

وبدا الصبي سعيداً للغاية. وقال لماركوس: «ليس لأجل المورغان، ولكن لأنني ذاهب إلى بيتنا. ستحبه كثيراً».

* * *

كان مع مرور الوقت، يزداد جهلاً وعدم إدراك.

عندما وصل ماركوس، كان قد مرّ بأجمل المناطق الريفية في العالم... وبجانبه تلميذ مدرسة ثرثار. لم يكن يفهم لماذا يضع نفسه في هذا الموقف.

كانت بيتا وصلت إلى المزرعة قبلهما، وعندما توقف، كانت جالسة على درجات شرفة كوخ متداعٍ تحيط به مجموعة من كلاب شرسة جاءت نحو السيارة تنبح بشدة بينما تبعتهما بيتا.

كانت ما تزال تعرج، ومع هذا فقد كانت بيتا التي تركها منذ ساعتين. بقيت الملابس ذاتها التي كانت ترتديها في الطائرة. التنورة والبلوزة اللتان اشتراهما لها لتواجه بهما تشارلز. لكنها بدت مختلفة تماماً. هالة التوجس قد تبددت، كانت تبتسم وكان ثمة شيء في هذه الابتسامة.

إنه السعادة. إبتسامتها تنوهج من داخلها، ومستحيل إطفاؤها، ولماذا؟ لأنها عادت لتوّها إلى هذا المكان الموحش المنعزل...

قرر أن ذلك ليس عدلاً، فالريف رائع الجمال. لقد كافح تشارلز ليحصل على هذا المكان وذلك لسبب وجيه. كانت المزرعة تمتد على الساحل، وبدت

سحريّة في شمس العصر.

لكن المنزل لم يكن كذلك. بدت الشرفة وكأنها ستنهار في أية لحظة، والمنزل المتصل بها كان أسوأ. وكانت بيتا تقول من خلال نباح الكلاب: «مرحباً بك في مزرعة «روزيللا». كفى، كفى».

كانت تخاطب الكلاب التي ما لبثت أن انقلبت ظهراً لبطن حين أدركت أن هاري في السيارة. وإذا بهاري يقفز بقوة ليتهي بين الكلاب ومن ثم أخذوا يتدحرجون معاً على التراب بفرح بالغ. لكن ماركوس كان ما يزال ينظر إلى البيت المتداعي: «هل هذا هو بيتك حقاً؟».

بهتت ابتسامة بيتا قليلاً: «نعم. ولكن لا تقلق. منزل العمة هاتي أفضل. إنه يبعد من هنا قرابة المئتي ياردة. سآخذك إليه الآن».

- لا بأس.

ونزل من السيارة ونظر حوله، ثم أخذ قراره.

إنه بحاجة إلى أن يؤسس نفسه هنا. إنها أرض غير مألوفة وماركوس يتعامل مع الحقائق. وقال لها: «أنا بحاجة إلى مرشد سياحي».

أتراها تراجعت لحظة أم أن مخيّلته صورت له هذا؟

- يمكن لهاري أن يطوف بك أنحاء المزرعة بعد المدرسة غداً.

وإذا بوجه هاري البشوش يبرز من بين مجموعة الكلاب: «بكل تأكيد، ولكن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً. لهذا لن أذهب إلى المدرسة وذلك لكي أري ماركوس كل شيء. البنات لا يعرفن أبداً ما عليهن أن يفعلن مع الرجال».

كانت ابتسامته معدية للآخرين ولكن يبدو أن بيتا لديها مناعة فلم تبتسم. لكنها، على الأقل، نظرت إلى هاري الآن بدلاً من ماركوس. كان على صواب، فقد تراجعت، وقالت لأخيها: «هذا غير ممكن، فقد أهملت في غيابي ما يكفي من الدروس. ولكن بإمكانك أن تأخذ ماركوس إلى بيت هاتي الآن».

وسرعان ما نفر ماركوس من هذه الفكرة، فقطب جبينه. إنها خطة دقيقة منظمة، هاري يأخذه إلى منزل عمته، ومن ثم تتابع هي مسيرة حياتها.

ولكن، أليس هذا ما يريده هو؟

ربما لا: «سأحضر حقيبتك أولاً وأدخلها البيت».

لكن بيتا هزت رأسها وهي تمدّ يدها لتأخذ منه الحقيبة التي سحبها من سيارته: «سأدخلها أنا البيت».

- وكاحلك؟

- إنه بخير. دع الحقيبة هنا!

- ألا تريدينني أن أرى بيتك؟

- ليس هناك ما يستحق أن تراه.

- ألا تريدينني أن أحملها إلى غرفتك؟

فتطوع هاري قائلاً: «بيتا تنام على الشرفة الواقعة في الناحية الخلفية حيث لا يوجد رياح».

وأزاح عنه الكلاب ووقف ثم اتخذ دور المضيف: «يوجد غرفة نوم واحدة، وبيتا تجعلني أنام فيها».

- وهل تنام بيتا على الشرفة؟

فردّت بيتا قائلة: «إنها... باردة منعشة».

فقال مذهولاً: «أراهن على ذلك. خصوصاً في الشتاء. هل تنامين خارج البيت طوال السنة؟».

فقال هاري: «كلنا كنا ننام على الشرفة حتى مات أبي. وعندما مات جعلنا أخواي الكبيران، وليام وأنا، ننام في الداخل».

- هذا غير معقول.

- هذا ليس من شأنك. ولكن إذا كنت تظن أنني لم أكن أعتني بهاري، فهذا غير صحيح. فقد كان ينام معي عندما كان طفلاً رضيعاً، والآن، هناك مواد غذائية أساسية في بيت هاتي. سأذهب للتسوّق غداً فأبتاع كل ما تحتاجه. ولكن، في نفس الوقت...

فقاطعها ماركوس: «ماذا لدينا للعشاء؟».

لدينا...

تعلقت هذه الكلمة الدالة على الجمع، في الهواء. لكن فكرة الذهاب إلى بيت آخر ليبحث، وحده، عن طعام في البرّاد، أمر يصدّ الشهية حقاً.

وتطوّع هاري قائلاً: «سنأكل نحن «سجق». دوماً تطهي بيتا «سجق».

وتحرقه أيضاً».

- وهل سيكون في ثلاجة هاتي «سجق»؟

فقال هاري: «بالتأكيد. بيتا تشتري الملايين من قطع السجق».

فقال ماركوس وهو يبتسم في وجه عروسه المرتبك: «لا بأس. سأطهو أنا إذن. العشاء سيكون في بيتي بعد... ساعة؟».

فقالت بفتور: «لكنك لا تعرف ماذا يوجد هناك».

- كم تبعد الدكاكين من هنا؟

- ربع ساعة بالسيارة.

- لا تقلقي إذن.

- أنت لا تحسن الطهي!

- من قال إنني لا أحسن الطهي؟

- أتحسنه حقاً؟

سأله هاري ذلك بلهجة متشككة، فأجابه: «حقاً».

- وليس أشبه... «بالسوشي»؟

فضحك ماركوس: «أنا لا أعرف السوشي ولا مكوناتها».

فقال هاري بغاية الرضى: «إنها صلصة، أليس كذلك يا بيتا؟».

قال وجهها كل شيء ما عدا الصلصة. وقالت: «عليّ أن أحلب البقرات».

- ماذا؟ الليلة؟

- لم أدفع أجراً لأحد للحلب الليلة. فإذا لم أحلب، لن يكون هناك إيراد.

- هل يمكنني أن أساعد؟

- أحب أن أحلب وحدي. أما أنت فركز على السجق.

- وكاحلك؟

- بخير، وأنت فعلت ما فيه الكفاية، ولا أريدك أن تساعد.

كانت البهجة قد تبددت. لكنه عاد ففكر في أنها ما زالت موجودة لكن هناك ضيقاً ما...، وكأنها أدركت أن ثمة ثمناً للبهجة أيضاً.

بيت المزرعة الثاني كان أشبه ببيت دمية. وكانت حاله أفضل كثيراً من الأول. ويبدو أنه بُني لأجل امرأة صعبة الإرضاء. كان ذا لون وردي داكن

هادئ من الخارج. لكنه ما إن دخل حتى فوجئ بالألوان الوردية في كل شيء.
قال هاري بعد أن تركتهما معاً: «العمة هاتي كانت تحب اللون الوردي».
فقال ماركوس: «هذا ما أراه. إنه فظيع».
فقال هاري: «وهو كذلك. بيتا أحسن رغم أنه متهدم».
- لا أفهم لماذا هذا البيت أحسن من بيتكم؟
- أحسن؟
- هذا إذا استثنينا اللون الوردي...
- آه، أنت تعني المال. دوماً كانت العمة هاتي أغنى منا.
- أتعرف لماذا؟
- طبعاً، كان جدي عادلاً.
- عادلاً؟
فانطلق هاري بالحديث، متلهفاً إلى أن يسرد قصة ظلم كانت تغضبه دوماً:
«كان لجدي ولدان. أبي وعمتي هاتي. عمتي هاتي ولدت طفلاً عندما كانت مراهقة، وهو تشارلز، لكنها استمرت في العيش هنا. وبنى لها جدي هذا البيت، وتزوج أبي فأنجب خمسة أولاد. وعندما مات جدي، ترك نصف المزرعة لأبي ونصفها الآخر لعمتي، رغم أن أسرتنا كانت تقوم بكل العمل. بيتا تقول إن بابا كان غاضباً للغاية. وهي تقول إن هذا سبب آخر لكراهية أبي للنساء».
- ماذا بعد...
- وهكذا كان على دخل المزرعة أن يُقسم إلى اثنين. نصف لهاتي والنصف الآخر لنا.
- ومن يعمل في المزرعة؟
- بيتا، ونحن نساعدها.
- هل كانت هاتي تساعد؟
- هاتي لم تعمل أبداً سوى في طلاء الأشياء.
قال هذا عابساً وهو ينظر حوله. فقال ماركوس مفكراً: «هذا ظلم لبيتا».
- نعم، ظلم حقاً. لكن تشارلز دوماً كان يقول إن لنا الخيار، إما أن نقبل بذلك أو نغادر المزرعة. لم يشأ أبي قط أن يغادر المزرعة... ما كان ليهتم بشيء ما

دام في جيبه نقود لشرابه...
وعند ذلك عض شفته، وبدا فجأة أصغر من سنه: «أظن ما كان علي أن أخبرك عن إدمان أبي على الشراب. هذا ما أخبرني به دانييل. ولكن بيتا ستستاء».
- لن أخبرها. وهكذا بقيت بيتا لتعمل في المزرعة. لماذا غادر إخوتك المزرعة؟
- بيتا أرادتهم أن يغادروا.
- لماذا؟
- قالت إنه لن يكون لدينا مال يكفي لكي نصبح جميعاً مزارعين، وعليهم أن يتعلموا مهناً ولو اضطرت لسوقهم بالعصا. عندما تصبح بيتا متسلّطة لا يستطيع أحد أن يجادلها.
وضحك، فقال ماركوس: «أظنك على صواب في ذلك».
- هل ستطهو «سجقاً». حقاً؟
- كنت أفضل أن أتفادى ذلك. أين البراد؟
- سآخذك إليه، اعتادت هاتي أن تذهب أحياناً إلى المدينة وتحضر بعض الأطعمة. قد يكون بينها نوع حسن... لكنه ليس حسناً للغاية.
- لنرى، هل تستطيع أن تطهو؟
فأجفل هاري: «لا».
- سأعلّمك إذن.
عندما عادت بيتا من حلب الأبقار كانت مرهقة. لكنها كانت تفكر مسرورة، وهي تغتسل، في الأبقار، بناتها، وما تبدو عليه من صحة وكفاءة. لقد التفت حولها جميعاً حين ظهرت عند البوابة، لتقودها إلى مكان الحلب. وعندما سارت هي بينها، شعرت بأنها عادت إلى موطنها.
موطنها!
لن يستطيع أحد أن يسلبه منها، وهي تحلب البقرات، واحدة بعد الأخرى، وهي تربت على كل منها بعطف.
بعد انتظار طويل، توقّف التهديد لاستقرارها من قِبل أبيها أولاً وابن عمتها

الآن. وكان ذلك بفضل ماركس. وهي هدية ضخمة، ونظرت إلى «المحبس» الذهبي في إصبعها، وكان ماركوس أصرّ على أن يلبسه كل منهما لمدة عام، قائلاً: «فلنفعل ذلك بشكل صحيح».

وقد فعل ذلك بشكل صحيح.

وهي أرسلته إلى بيت هاتي.

ربما سيعجبه اللون الوردي. حدثت نفسها بذلك ضاحكة والمياه الباردة تنساب على جسدها. سيكون مرتاحاً هناك على الأقل.

وسيكون بعيداً، منفصلاً عنها، وستعود هي إلى حياتها الطبيعية منذ اليوم.

- بيتا.

كان هاري يصرخ يناديها فأطلت برأسها من باب الحمام: «ماذا؟».

- أنا وماركوس طهونا عشاءً وعليك أن تسرعي قبل أن يبرد. قال لي ماركوس أن نسرع.

وانتظرها متنقلاً هنا وهناك بصبر نافذ. ثم هتف بها وهي تخرج ببنطلون جينز وقميص مقفل نظيفين: «هيا بنا، هيا».

يكفي أن تأكل «التوست». على الشرفة وهي تستجمع صفاء ذهنها. وسألته: «ألم تقل بأنك ترغب بتناول العشاء معي الليلة؟».

- هل تمزحين؟ ماركوس قريب من هنا.

- نعم، ولكن...

- ويجب أن تري ما طهيناه.

كاري!

دخلت بيتا من الباب الخلفي لعمتها هاتي ثم وقفت مدهوشة. كاري! لم تشم شيئاً كهذا قط في هذا البيت.

عند ذلك ظهر ماركوس عند العتبة فتوقفت عن التفكير في العمة هاتي.

لم تره قط من قبل بهذا الشكل.

كان يرتدي بنطلون جينز حائل اللون كبنطلونها تقريباً، مع قميص مقفل محكم حول صدره مبرزاً عضلات ذراعيه. وكان شعره الأسود مشعثاً، وعلى خده لطخة برتقالية اللون. وكان يضع مئزراً.

كان هذا واحداً من مآزر العمة هاتي، وهو وردي له ربطة كالفراشة.

أخذت تحدق إليه، لقد جاءت مستعدة لأن تكون جافة مؤدبة رسمية... ثم تتناول وجبة سريعة تودعه بعدها بكلمات رسمية ثم تخرج.

لكن الصفات (جافة مؤدبة رسمية) لم تحظ منها بأي انتباه. ذلك أن نظرة واحدة منه جعلتها تضيع ما وسرعان ما كانت تضحك بصوت عالٍ.

فسألها باستياء ساخر: «ماذا؟ ألم يعجبك مئزري؟».

- بل هو...

وجاهدت للتحكم في نفسها ففشلت، لكنها عادت تحاول. فقالت: «إنه مئزر جميل جداً وكذلك الفراشة. عملكما جيد... جيد جداً أيها الفتيان. هل ما أشمه هو كاري؟».

فأجاب باسماً: «نعم. قال هاري إنه يحب الكاري».

- كيف... هل كان لدى العمة هاتي مسحوق الكاري؟

- الكاري لا يضعون فيها مسحوق الكاري.

- أصحيح؟

- نعم. لا أظنك تحسنين الطهي، أليس كذلك يا سيدة بنسون؟

السيدة بنسون... وعضت شفتها وحاولت جاهدة تجاهل هذا. وقالت: «عندما كنت في الثامنة من عمري كان لدي معلّمة ماهرة للغاية، السيدة كانتربيري، وذات يوم، أخذتنا، نحن الفتيات، جانباً وقالت لنا إننا إذا كنا نريد أن نصبح ذات قيمة تذكر علينا أن لا نتعلم أبداً الطبع على الآلة الكاتبة ولا الخياطة ولا الطهي، وقد اتّبعت أنا نصيحتها حرفياً».

فقال بفتور، متأملاً: «أحسنت عملاً، وها أنت ذات قيمة كبيرة، لكنك جائعة. مسحوق الكاري... هيه؟».

- كيف تصنع الكاري دون مسحوق الكاري، إذن؟

- وجدت لدى العمة هاتي كل البهارات محفوظة في زجاجات مكتوب عليها (الطعام الشهي) لم تُستعمل بعد وبالتالي بقيت بحالة جيدة. ضعي الفلفل الأحمر فوق قطعة كبيرة من لحم الخروف وصلصة البندورة والليمون... هل أنت جائعة؟

هل هي جائعة؟ وأخذت تتشمم مرة أخرى فوجدت للرائحة تأثيراً غير عادي.

لكنها عادت ففكرت في أن هذا التأثير ليس نتيجة الرائحة قط وإنما لكل هذه الأحداث.

كان ثمة ما يكفي من الرجال في حياتها، كما فكرت بيأس. إن لديها أربعة أخوة تحبهم للغاية كما أنها نجحت في التأقلم مع والدمهمل وابن عمة قاسٍ. ستة رجال. وهي لا تريد التعرف إلى مزيد منهم. . . . أبداً.

لكن ماركوس يمسك بالكرسي لها لكي تجلس. لم يسبق أن تصرف رجل آخر نحوها هكذا. وكان ماركوس يبتسم لها. لم يبتسم لها رجل قط من قبل. . .

أتراها جنّت؟ الناس طبعاً يبتسمون لها طوال الوقت.

حدثت نفسها أنها الآن في موطنها وعلى الحياة أن تعود إلى طبيعتها. وما هذان الأسبوعان سوى إنحراف عن الطبيعة. رجل يطهو لها. . . رجل يتصرف وكأنه يهتم بها. سينتهي ذلك، سيذهب هذا الرجل وتعود الحياة إلى طبيعتها. هل هذا ممكن؟

جلست بيتا وهاري في مواجهته، وأكلا من الكاري وكأنهما لم يأكلا قبل هذا الطعام من قبل. لقد تلذذا بكل لقمة.

كان الطهي هواية ماركوس السرية. ذلك أن أمه لم تطبخ قط.

وكانت هذه مهارة لم يشارك بها أحداً حتى الآن. . .

كان العشاء رائعاً. تناولوا طعامه باستمتاع بالغ فازداد شعوره بالرضى عشرة أضعاف.

سألته بيتا: «أين تعلمت صنع هذا؟».

فأخبرها. وبدا هذا لها غريباً أيضاً، أن يتحدث عن الماضي إلى امرأة بدت وكأنها مهتمة بذلك، بدت وكأنها تهتم به حقاً.

ولكن لا. لا يمكنها ذلك، كما حدثت نفسها، فالمزرعة هي حياتها ولا دور لها في حياته. كان يعلم هذا ولكن عندما انتهى الكاري ونهضت لتذهب، انتابه شعور مؤلم بالخسارة. فقال: «سأصنع قهوة».

لكنها هزت رأسها: «عليّ أن أنام باكراً لأنني سأستيقظ عند الساعة الخامسة

صباحاً لأحلب البقرات، وكذلك هاري لديه مدرسة غداً، فهو سيعود إلى النظام المعتاد».

ورفعت بيتا هاري ليقف ثم صفرت للكلاب: «هيا، يا شباب. علينا أن نخرج وندع السيد بنسون لينام».

فأجفل ماركوس: «لا تزال الساعة الثامنة. حتى زيارة «الأمير الساحر». كانت أطول من هذه».

فقالت بحزم: «إنك تركت سندريللا في نيويورك. وما زالت هناك».

وساد صمت عميق.

غادر بيتا وهاري تتبعهما الكلاب، وبقي ماركوس في منزله الوردي وحيداً مع أفكاره.

لكن أفكاره لم تكن وردية، بل كانت سوداء. نظّف المطبخ ولمّع سطوح المناضد والمقاعد الخشبية الوردية. أفرغ أمتعته وعلق ملابسه على المشاجب الوردية، وحدّق إلى الجدران الوردية.

كانت الساعة التاسعة ليلاً، وهذا يعني الخامسة صباحاً في نيويورك دون اتصال من أحد. وكان قد توقع مجموعة من الاتصالات من روبي، ولكن لا شيء.

أين الجميع؟ ونظر إلى هاتفه الخلوي. يمكنه أن يتصل. هناك الكثير ليناقشه. ولكن. . . كانت روبي طلبت منه أن يأخذ عطلة. وقالت إنها تعني ذلك، وإنهم لا يريدون أن يسمعوا أخباره!

قالت له ذلك متحدية فتصرف هو كالغبي. لكنه الآن، وهو يحدق إلى هاتفه الخلوي وإلى جهاز الكومبيوتر، أدرك أن روبي لم تكن غبية، وأنها تعرفه أكثر مما يعرف نفسه.

كانت هذه الليلة جيدة. . . كانت. . . ممتازة. فقد علّم صبياً في الثانية عشرة من عمره كيف يطبخ الكاري. والأكثر من ذلك أن سروره ازداد وهو يرى ذلك الصبي مستمتعاً بما يفعل. وازداد سروره أكثر وهو يرى أخت الصبي مسرورة بابتهاج أخيها.

كانت بيتا سعيدة هذه الليلة، وهذا حسن.

هل هو يهتم بها؟

إنه يفكر بشكل صبياني هنا. فهو سيمكث في المزرعة لمدة أسبوعين... أسبوعين فقط يا بنسون ثم تخرج من هنا.

إنه يتصرف كالمعتوه.

كيف وضع نفسه في هذه الفوضى؟ يبدو أن العالم ذهب لينام، ولكن كيف ينام هو؟.

فكر في أن بيتا اعتادت على توقيت نيويورك، ولهذا، ربما كان شعورها الآن كشعوره. كيف أمكنها أن تذهب إلى بيتها لتنام بكل ذلك الهدوء؟ وعلى الشرفة؟

وهذا كان شيئاً آخر ليفكر فيه. أن يجعل فتاة تنام على الشرفة... إنه قرار مخيف ومفزع. وتصورها مستلقية على سرير... ربما «الرفاسات» فيه مكسورة... وربما البطانيات مهترئة... وهي تربط الساعة لترن جرسها عند الفجر أو قبل ذلك. وذلك لتنهض وتحلب البقرات.

لا يمكن أن تكون نائمة الآن، خصوصاً إذا كانت تنام على «رفاسات» حبة البازلاء؟ الأميرة التي تنام على مئة حشيّة من الريش، ومع ذلك تتزعج من حبة بازلاء كانت تحت الحشيّة الأخيرة

الحكايات الخرافية! كاد يفقد عقله.

لكن الصورة لم تبارحه، ووجد نفسه يفتح الباب الخلفي وينظر إلى الخارج.

هل يذهب لإنقاذها من حبة البازلاء؟

سيتسكع حول الشرفة، ليتأكد فقط. وإذا كان هناك حبوب بازلاء بحاجة إلى إبعادها...

حسناً، لعلّه الرجل المناسب لتلك المهمة. لكنه حدث نفسه بأن لا يفعل ذلك. وأن يذهب ليتمشى فقط... وإذا أصبح قريباً منها...

* * *

لم تجد بيتا طريقاً إلى النوم. كانت مستلقية تحدق في الظلام، محاولة أن تستعيد في ذهنها ذلك الرضا الذي كانت دوماً تشعر به في هذا السرير، وهذا المكان.

عندما مات أبوها، قرر إخوتها إعطاءها الغرفة الداخلية. ولكنها رفضت. لأنها كانت لا تتذكر نفسها إلا على هذا السرير الصغير في آخر الشرفة بينما كان

الصبيان ينامون في السرير الكبير في الناحية الأخرى. هنا بإمكانها أن ترفع أغطية السرير حتى أنفها ثم تغيب مع أفكارها، بينما في الخارج، كانت الأبقار تمضغ علفها والأشجار يتصاعد حفيف أوراقها بسبب الرياح، والبحر تتخبّط أمواجه، والبوم ينعق والضفادع تنق.

كانت هذه المزرعة رفيقتها، وقد اشتاقت إليها كثيراً أثناء غيابها في نيويورك. وكان عليها أن تستمتع بها الآن.

عليها أن تكون نائمة بدلاً من أن تحدق في السماء التي تنيرها النجوم. لكنها لم تر شيئاً سوى طيف ماركوس.

* * *

قام ماركوس بجولة حول منزله الصغير ثم قرر أن يمدّد جولته، كان القمر بدراً فتمكن من رؤية أشكال الأبقار في المرعى، والأشجار الظليلة والجبال في الخلفية. وصوت تلاطم الأمواج أسفل المنزل.

كل يفترض بهذا أن يجعل من إبن المدينة يسرع بالعودة إلى بيته الصغير ثم يغلق الباب أمام عوامل الطبيعة تلك. لكنه، بدلاً من ذلك، أخذ يتسكع ويسير في الممرات الضيقة التي أنشأتها خطوات أجيال الأسرة في تجوالهم الدائم نحو أعمالهم في المزرعة.

أتراه يقترب من بيتا؟

كان قد اكتشف من هاري أن بيتا كانت تزور هاتي كثيراً. وعلم أن وجود هاتي كان يعني للأولاد في المزرعة بعد موت أبيهم. ولكن يبدو أن هاتي كانت امرأة ضعيفة ومع أنها كانت تحب بيتا فهي لم تستطع أن تساندها ضد ابنها.

كان هاري قد قال له: «لا أستطيع أن أتذكر تشارلز جيداً. عندما رحل عن المزرعة كنت صغيراً جداً. لكن دانييل يقول إن تشارلز هو حيوان زاحف حقيقي. كان يضرب كل شخص يقف في طريقه. وعندما كان صغيراً، اضطرت العمة هاتي إلى العيش هنا لأنه لم يكن لديها مكان آخر تذهب إليه. لكن تشارلز كرهه جداً، وكرهنا أيضاً. وسرّ الجميع لرحيله. كان دان يقول إنه يأتي إلى موطنه فقط عندما يحتاج الى النقود. لم يكن المال يكفيه قط. وهذا كان يغضب بيتا. لم تكن تسمح له بأن يضرب هاري ولهذا كان يضرب بيتا كثيراً».

لم يفكر ماركوس قط في ذلك. ولكن الوقائع ترغمه على الاعتراف بأن طفولتها كانت مخيفة. على ما يبدو، هناك غيره ممن كانت طفولتهم مخيفة، أكثر مما كانت طفولته.

لكن أولئك تغلبوا على ذكرياتهم فلماذا لا ينساها هو؟

بقيت قدماه تسيران، وضوء القمر يتموج على وجهه. لم يشعر بتعب على الإطلاق.

كان يقترب ويقترب من بيت بيتا الصغير الحزين. اقترب من الشرفة حيث هي الآن مستغرقة في النوم. لا. لا أحد سيستيقظ.

لكن الكلاب... لا بد أنها ستقفي عليه.

تراكضت من مكان ما... لم تكن شريرة أو مهاجمة وإنما مبتهجة لرؤيتها إنساناً مستيقظاً.

خطا ماركوس في السير في أنحاء المزرعة دون أن يراه أحد فشلت الآن.. فقد أخذت كلاب المزرعة تنبح وتتواثب... ثم، إذا بصوت يخترق الليل: «تيب، بريسرن، من هناك».

أي ماركوس أنها بيتا، وهو قد أخافها. لم يكن يقصد...

- أذلك أنت، يا ماركوس؟ حاذر من أن تغوص قدماك في فضلات البقر، لقد سمحنا للبقرات بأن ترعى في فناء البيت.

فضلات البقر؟ هذا يكفي ليسبب له الذعر! ماذا عليه أن يجيب؟ يبدو أن السيدة لم تكن خائفة. وقال مذهولاً: «أنا ألاحظ ذلك».

- هذا ينفعك. تعالوا إلى هنا، أيها الفتيان.

أصعقه أن يلاحظ ضحكاً في صوتها. ثم لاحظ أنها تنادي الكلاب... الكلاب فقط.

ناداها: «هل أنت في السرير؟».

- بكل تأكيد حيث يفترض أن تكون أنت أيضاً.

- أنا لست متعباً. لماذا لست نائمة؟

- ربما عليّ أن أنام. لكن رجالاً غرباء لا ينفكون يجولون حول البيت.

- لا يبدو عليك أثر من نعاس. أتقولين إن الذنب ذنبي في بقائك مستيقظة؟

فقالت بحذر: «ما كنت لأقول هذا. ليس تماماً».

- ماذا كنت ستقولين؟

- كنت سأقول إنني سعيدة حقاً بوجودي في الوطن.

- حتى ولو كنت ستنامين على الشرفة؟

- أنا أحب النوم على الشرفة.

- أصحيح؟

- نعم، صحيح.

وبعد لحظة تردد، تابعت تقول: «إصعد لترى».

- هل تدعينني إلى غرفة نومك؟

- أنا أدعوك إلى الشرفة. وهذا يختلف.

- وهل تمثل الكلاب دور المرافقة الحارسة؟

- هيه، عواطف الفتيات المشبوبة لا يمكن أن تجرفني. وإذا كنت تفكر في الانغماس في نفس...

- عواطف الفتيات المشبوبة؟

- أجل بالضبط. إن لدي دلواً من الماء البارد وأنا مستعدة لاستعماله.

فشخر: «يا لها من دعوة رائعة».

- وهذه لم أستعملها سوى مرة واحدة. هل ستصعد أم لا؟

هل سيصعد؟ لكن قدميه سبق وتحركتا.

بدت وكأنها في الثانية عشرة. وسار حتى نهاية الشرفة ثم وقف مذهولاً. لم يكن واثقاً مما سيجد، ولكن المشهد أتى مخالفاً لتوقعاته.

كان سريرها لشخص واحد وقد ضُغط إلى الجدار. حتى الآن كان هذا حسناً، كما تصوره تماماً. لكنه توقع سريراً حقيراً مملاً، غير أن ما وجده هو...

مخدات، وسائد، لُحُف. كومة عالية من أغطية رائعة للسرير بشكل شبه فوضوي. ولم يستطع أن يرى، في ضوء القمر الباهت، ألوانها بدقة، لكنه رأى ما يكفي لكي يعلم أنها ألوان صارخة نابضة بالحياة. أكبر كلاب المزرعة، واسمه (تيد) كان متكوّماً بجانب السرير. وعندما اقترب ماركوس، هزّ الكلب ذيله

بخفة وكأنه يقول: أنا مسرور جداً لرؤيتك.

- هذا عظيم، أليس كذلك؟

قالت بيتا هذا وهي تزداد تلوّياً تحت الأغطية حتى لم يكد يبدو سوى أنفها من تحت اللحاف الجميل.

- ظننتك محرومة.

قال هذا قبل أن يمنع نفسه، فدفعت اللحاف عن وجهها جزءاً بسيطاً لتسأله: «محرومة؟».

- أعني أن موت الأم واستبداد الأب جعلاك تنامين خارج المنزل...

- لم يكن أبي مستبداً. إنه لم يحب البنات أبداً لكنه لم يظهر لي كراهية. وإنما، فقط، لم يكن لديه وقت لأجلي.

- وأمك؟

- هي أيضاً لم تكن تهتم كثيراً. وذكرياتي عنها قليلة، في الواقع. كانت دوماً داخل البيت تلد الأطفال.

- ألن تفعلي أنت ذلك؟

- إذا أنجبت أطفالاً سأحرص على أن أجعلهم سعداء. كانت أمي تحب الأطفال حقاً، ولكن ما إن نصبح فوضويين حتى نصبح في الخارج، ونتابع حياتنا.

واعتدلت جالسة متكئة على وسائدها، ثم نظرت إلى القمر المعلّق فوق البحر: «وكان وجودنا في الخارج رائعاً أيضاً. كم كنا محظوظين».

- كنتم محظوظين؟

- كان لدينا هذا.

وأخذت تعبث بأذن الكلب أسفل السرير: «كان لدينا الكلاب. كنا مع بعضنا البعض. كانت مرحلة طفولتنا رائعة».

- لم يكن لديكم نقود.

فقالت برقة: «لا أراك سعيداً لأن لديك نقوداً. أين تفضل أن تنام؟ في تلك الشقة الخالية الفظيعة في مانهاتن أم هنا؟ هذه أجمل غرفة نوم في العالم».

- وإذا سقط المطر؟

- إنني أعلّق ستائر بلاستيك حول الشرفة. وإذا برد الجوّ كثيراً، أسمح لكلب أو اثنين بأن يناما بقربي. هذا عظيم.

- أنا متأكد من ذلك.

- لا تبدو مقتنعاً.

- أظنني أحب التدفئة المركزية.

- التفت.

قالت هذا بسرعة مفاجئة وهي تجلس في سريرها. كانت تلبس قميصاً قطنياً مقفلاً.

وعادت تلح عليه أن يلتفت ويرى، فالتفت. وكان عليه أن يقرّ بجمال ما يرى. وفي الواقع، كان جمالاً يحبس الأنفاس. كان القمر يلقي فوق البحر عصابة فضية. وأسفل المنزل، كانت الأمواج تنهار في صفوف طويلة، وضوء القمر ينير الزبد الذي يحدثه تكسرها.

وقالت له برقة: «هذا هو سبب زواجي منك، وليس بسبب المال».

- ولا بسبب الحب؟

نظرت إليه بابتسامة واسعة: «هل تبحث عن الحب؟».

- همم... لا.

- كان لي عرس جميل جداً، وأشكرك جداً لذلك. ولكن أليس هذا ما ترويه الحكاية؟ عرس بثوب أبيض، ثم تعيش الأميرة بعد ذلك في سعادة دائمة.

- مع أميرها.

- ومن يحتاج إلى أمير؟ إن لديّ هذا. لديّ كلابي. لديّ الأمن الذي يحتاجه الفتيان.

- هل تخبرينني بأن أعود إلى نيويورك؟

فقالت بلطف بالغ: «آه، لا. أنا بحاجة إليك هنا. أنت نفسك قلت هذا. قلت إن الزواج بحاجة إلى أسبوعين ليصبح قانونياً».

- وبعد ذلك يمكنني أن أرحل؟

- هذا ما تريده أنت، أليس كذلك؟

- طبعاً.

فقالت وكأنها تذكره بمنحة كبيرة: «لكنني قررت أن أدعوك للصعود إلى الشرفة لمرة واحدة فقط. وذلك لترى ماذا أعطيتني».

- ثم تقولين إنك لا تريدينني بعد أسبوعين.

- وهذا أيضاً. أشعر بأنك ترى ما فعلته معي نوعاً من الإحسان. كان فعلاً كذلك، فأنت أنقذتني. وكل ما أرجوه هو أن أرد لك الجميل بإنقاذك.

- أن تنقذيني؟

- لا تتمتع بحياة هانئة.

حدق إليها في ضوء القمر. كانت تحيط ركبتيها بذراعيها وتنظر إليه بإمعان وكأنه نوع هام من الحشرات...

كان إحساساً لا يمكن وصفه: «هل لك بأن تكفّي عن ذلك؟».

- أكفّ عن ماذا؟

- عن التحدث في ما لا يعنيك.

فعادت تندس تحت أغطيتها حتى أنفها: «إذا كنت لا تريدني أن أفعل هذا، تصبح على خير إذن».

لقد طُرد. وعليه أن يستدير ليهبط تلك الدرجات مرة أخرى. ولكن...

ولكن... ولكن ماذا؟ وسألها: «ألا تعانين من تأثير الرحلة؟».

- تأثير الرحلة؟ بعد نومي في سرير الطائرة؟ هل تمزح؟

- أعني اختلاف التوقيت. أشعر وكأنني في الصباح.

- وأنا أيضاً قليلاً. لكن البقرات ستستيقظ في الخامسة. وعليّ أن أستيقظ في نفس الوقت، ولهذا أحتاج إلى أن أنام الآن.

- أتريدينني أن أذهب؟

فحدّقت إليه: «هل تشعر بوحدة؟».

- لا. أنا...

- منزل هاتي الوردي فظيع جداً. لا عجب إن كنت تشعر بالوحدة.

- ألا تشعرين أنت بذلك؟

- أنا أفتقد أخوتي. هاري ينام الآن في الداخل. إن لديه كومبيوتر وهو يحسب أن الأسلاك تتبلل هنا في الخارج. ولكنني أحب أن يناموا في الخارج هنا.

إنه مكان رائع للنوم. يمكنك أن تجرب ذلك إذا شئت.

- ماذا؟ أشاركك الشرفة؟

- إنها شرفة واسعة للغاية.

- هل تطلبين ذلك دوماً من رجال غرباء...

- أنت لست رجلاً غريباً... أنت زوجي.

نعم، نعم. هو زوجها. كانت هذه الفكرة شيئاً لا يُصدق. وأضافت: «وإذا أنا أشرت للكلاب بالهجوم، ستلبّيني حالاً».

نظر إلى الكلب الذي كان منبطحاً على الوسائد: «لا أصدق هذا».

- بل صدّقه. لقد فعل دانييل ذلك لأجلي.

- فعل ماذا؟

- لقد درّب الكلاب. إنها قادرة جداً على حراسة المواشي وذكية جداً. حاول تشارلز مهاجمتي ذات ليلة، فقرر دانييل أنني إذا كنت سأبقى هنا وحدي، سأحتاج إلى حماية. وهكذا، الآن، ليس عليّ إلا أن أنطق بكلمة واحدة فتستحيل الكلاب إلى مجموعة وحوش مزمجرة. أتريد أن ترى؟

- لا.

كان اعتاد على ضوء القمر الآن فرآها تبتسم. لكنه لم يتعوّد على الوضع. لقد وقفت هذه المرأة إلى جانبه منذ يومين ووعدت بأن تكون زوجته. ثم تركت القيادة له في تدبير الأمور ليقوم بما هو ماهر فيه.

ما الذي يتوقعه هنا؟

ونظر إلى الليل... كان رائعاً. يمكنه أن ينام هنا. يمكنه أن ينام مع بيتا. أو يمكنه أن يعود إلى بيت هاتي الوردي وسريرها، أو إلى غرفة المراهق تشارلز بجدرانها المغطاة بصور مفزعة.

وقالت بيتا باسمة وهي تتابع سلسلة أفكاره: «إنه عرض سخي مني. وأنا لا أعرضه على أي شخص. إنما الآن، سأنام، إذا لم يكن لديك مانع».

وانقلبت على جنبها، فارتفع الغطاء على جسمها، تعني بذلك أن عليه أن يختار فقد قدمت عرضها أما الباقي فهو شأنه.

عليه أن يعود إلى بيته.

بيته؟ من تراه يخدع؟ البيت هذا هو قصر هاتي. وهو لا يختلف كثيراً عن بيته في مانهاتن. حدّق طويلاً في بيتا، ثم سار ببطء على طول الشرفة.

كان السرير منظماً، وكان أكبر من سريرها بثلاثة أضعاف. كان الفتيان ينامون فيه، كما قالت بيتا. كل الفتيان؟

وتردد، ولكن ليس طويلاً، واستدار ليحدّق في كومة أغطية سرير بيتا.

لا خيار آخر. خلع ثيابه الخارجية ثم انسل إلى تحت الأغطية، شاعراً وكأنه صبي صغير في مخيّم رحلة. وهنا كانت مفاجأة أخرى. لم يكن هناك «رقّاسات» في الفراش، ولا بطانيات مهترئة، طوّقه السرير وكذلك الروائح والأصوات.

وجاء أحد الكلاب يشمّ جانب السرير وكأنه يتساءل عمن يكون.

– دعني أراك. أظنك تيب، هل أنت أحد القتلة؟

أخذ الكلب يصبص بذيله برجاء، وعاد ماركوس يقول: «إذا كان فيك براغيث فاخرج من هنا».

وإذا بصوت ساخط من آخر الشرفة يصيح: «ليس فيه أشياء كهذه».

– ظننتك نائمة.

لقد اعتبر الكلب سؤاله عن البراغيث ترحيباً به فقفز إليه وانبطح على صدره. وقالت بيتا بشماته: «تيب يحب أن ينبطح بهذا الشكل. أنا لم أنم قط مع زوج، ألا يبدو هذا غريباً؟».

غريباً؟ هذا تبخيس بالغ للأمر كما فكر ماركوس وهو يستلقي على ظهره يحدق في النجوم، بينما هدأت بيتا مرة أخرى كما أخذ الكلب يشخر بجانبه.

لن ينام أبداً. وكيف ينام؟

لكنه نام....

٧ - يمكننا المحاولة

منذ كان ماركوس بنسون في الرابعة عشرة، لم ينم أكثر من أربع ساعات متواصلة. لأنه لم يكن بحاجة إلى ذلك، كما أنه لم يكن يريده.

حتى هذه الليلة.

نام، وزحفت الشمس من وراء الأفق. وكانت بيتا نهضت وسارت إلى حلب الأبقار فتواثبت الكلاب في أثرها مبتهجة بعودة سيدتها، وبقي ماركوس نائماً. لكنه استيقظ عندما أخذ هاري يركض حول زاوية المنزل، حاملاً حقيبته المدرسية على كتفه وهو يدس قطعة خبز محمص في فمه.

نظر إلى الشرفة ثم وقف: «أنت؟».

كان يصعب التحديد من منهما كان أكثر دهشة. نظر ماركوس في ساعته ثم عاد ينظر إلى هاري الذي سأله: «هل نمت مع بيتا؟».

ولم يكن هذا اتهاماً وإنما مجرد دهشة. وأسرع ماركوس يقول: «أنا نمت في هذه الناحية من الشرفة وبيتا نامت في الناحية الأخرى».

– نعم. إنها لا تنام معنا أبداً. قلنا لها إنها تصبح أكثر دفئاً معنا في السرير لكنها فضّلت النوم مع الكلاب. تصوّر أنها تفضل الكلاب عليك أنت أيضاً... هيه؟

فقال ماركوس بضعف: «أتصور ذلك. هل أنت ذاهب إلى المدرسة؟».

– نعم.

ونظر هاري إلى حيث كانت سحابة من الغبار قادمة تنبئ عن مجيء «باص» المدرسة: «عليّ أن أذهب. ماذا ستتناول في وجبة العشاء الليلة...؟ شيئاً لذيذاً؟ إلى اللقاء».

ثم ركض نحو الباص بحقيبته المدرسية وحذائيه المحلولي الرباط.

أخذ ماركوس يراقبه وهو يركض ثم يصعد إلى الباص متشبثاً به، فضحك ثم عاد ينظر إلى ساعته.

تلاشت ابتسامته. كيف نام طوال هذا الوقت؟

من المحلب، كان يسمع طنيناً خفيفاً وهو صوت آلة الحلب وأحياناً خوار بقرة ساخطة. لقد استيقظت بيتا وهي تعمل الآن.

بعد ذلك بدقيقتين دخل من باب المحلب وإذا بأقرب بقرة إليه تقفز إلى الخلف بفزع وبيتا تصيح: «قف مكانك».

فوقف.

رآها بيتا مختلفة الآن. كانت امرأة تعمل. إنها تلبس بنطلون جينز حائل اللون وقميصاً منقوشاً بمربعات مثني الكمين إلى أعلى. وشعرها مثبت إلى الخلف بمشطين وحذاؤها الطويل ملطخ بالوحل... وهذا كله جعلها تبدو في موطنها وبيئتها تماماً. خلافاً لماركوس الذي كانت البقرات تنظر إليه وكأنه قادم من الفضاء الخارجي، وكان هذا ما يشعر به بالضبط.

- جئت لأساعدك.

- شكراً، لكنك ستخيف الأبقار.

- ولماذا أخيفها؟

- لأنها لم تتعود أن ترى ملياردير نيويوركي في المحلب.

- ما كان لك أن تخبريها بأنني ملياردير.

فابتسمت: «لعل حذاءك لم يعجبها. هذه الأحذية الثمينة لا تنفع هنا».

فنظر إلى حذائه: «هل لدى أختك حذاء للمطر يمكنني أن أستعيره؟».

فقالت وهي تجر بقرة أخرى إلى الحلب لكن البقرة أخذت ترجع القهقرى، ما جعلها تتنهد: «نعم، لدى الفتيان أحذية جلدية طويلة يمكنك أن تستعيرها ولكنها لا تنفع. إنك تصعّب الأمور بالنسبة إليّ».

- لماذا؟ هل لأنني هنا؟

- لأن البقرات لا تحب الغرباء.

- ولكن عليّ أن أقوم بشيء. إذا كنت تظنين أن عليّ فقط أن أتمشّى في الأنحاء، للزينة، لمدة أسبوعين...

- ألا تحب أن تكون للزينة؟

- لا أظن ذلك، فأنا لم أفكر قط في هذا.

- إذن، أنت تحب حقاً أن تعمل شيئاً؟

هممم... حدثه صوت خفي بأن يحاذر، فقال: «ربما».

- حسناً، إذن. يمكنك أن تتخلص من اللون الوردي.

- ماذا؟

- يمكنك أن تطلي منزل هاتي.

- وبهذا يمكنك أن تعيشي فيه؟

- أنا سأبقى على الشرفة، لكن الفتيان يحضرون أصدقاءهم من الجامعة، وأفضل أن لا يكون بيت الضيوف ورديا.

ومنحته أجمل ابتسامة: «هذا إذا كنت تريد حقاً أن تكون مفيداً. لكنني لن أغضب إذا قررت بأن لا تكون كذلك. فأنت تستحق أن تكون هنا للزينة فقط، إذا كنت تحب ذلك».

فقال مفكراً: «هل هنالك خيار ثالث؟. أعني إذا لم أشأ أن أكون للزينة ولا أريد أن أطلي البيت؟».

- يمكنك أن تصنع لي فطوراً.

- هل اقتنعت بأنني طاه؟

- أظنك أنت نفسك مقتنع بذلك. فأنا لا أجيد سوى ملء صحفة «بالكورنفلكس». ومع هذا فأنا مستعدة لأن يشاركني فيها أياً كان.

ونظرت إلى الفناء حيث كانت عشر بقرات ما زالت في الصف تنتظر بصبر: «سأعود إلى البيت بعد نصف ساعة».

- لأجل «الكورن فلكس؟».

- لأجل ذلك أو لأي شيء آخر تحلم به.

أثناء صنعه الطعام، كان يراقب بيتا من النافذة. رآها تنتهي من الحلب، ثم تغسل المكان استعداداً للحلب في المساء. ثم تتوجه إلى «دوش» خارجي، بدائي الصنع، ثم رآها وهي تخرج مرتدية ثياباً تشبه ما كانت ترتديه في المحلب ولكن نظيفة.

لم يكن ثمة وجه للمقارنة بين بيت بيتا وبيت هاتي. لكن له ميزة كبرى في أنه ذو جوّ عائلي مريح. ويبدو أن المطبخ هو المكان الذي امضت فيه بيتا والفتية معظم حياتهم. كان هناك موقد قديم ومائدة خشبية فسيحة وكراسي محطمة ونوافذ تطل على أرض المزرعة الممتدة إلى شاطئ البحر.

وبشكل ما، بدت الغرفة أفضل حين دخلت بيتا. وقفت بالباب وأخذت تشم الروائح اللذيذة. وأنارت ابتسامتها الغرفة: «حلوى مقلية وقهوة. كنت أعلم أن هناك سبباً جعلني أتزوجك!».

فقال متذمّراً: «يا ليتك تكفّين عن الإشارة إلى زواجنا وكأنني لعبة اقتنيتها».

فأجابت وهي تخلع حذاءها الطويل: «إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أفكر بها. أنا لا أعني أنك ألعوبة، ولكن زواجنا كان نوعاً من العبث. فأنا لا أصدق أننا فعلنا ذلك وأنني لبست ثوب الزفاف ذاك، وأنني قطعت على نفسي عهود الزواج تلك».

كانت تتكلم بجد وكان هو ينظر إلى وجهها فشاركها تشوّش تفكيرها. كان ثمة فرق بينها وبين ثوب الزفاف الأبيض المزين بالدانتيل في نيويورك.

لكنها، في أعماقها، ما زالت بيتا نفسها. وسبب زواجه منها ما زال قائماً. كانت بحاجة إلى عون هي تستحقه. وقال: «لم يكن ذلك عبثاً».

- لكنه ليس حقيقياً.

- عليه أن يكون حقيقياً لمدة أسبوعين.

فقالت ببطء: «عندما أفكر فيه بشكل سطحي، أراه حسناً. ثم، إذا بالأمر يصدمني فجأة... فأجد أن رجلاً غريباً تماماً يتزوجني لكي أبقى في المزرعة. لكي يستطيع هاري أن يبقى هنا إذا أراد، وكي يكون لنا بيت دائم. ولكن... أن أتزوج رجلاً غريباً... ما الذي جعل ذلك يحدث؟».

فقال: «كل إنسان يحب حكايات الجن. الحلوى جاهزة الآن. إجلسي».

وهكذا جلست إلى المائدة، وأخذت تأكل الحلوى بنهم، ولكن، عندما أنهت طبقها، عاد مظهر الانزعاج يحتل ملامحها.

- آسفة لأنني لم أدعك تساعد في الحلب.

- لا بأس.

- غير صحيح. إنني مدينة لك بالكثير. وكان عليّ أن أدعك تفعل ما تشاء.

- حتى النوم بقربك على الشرفة.

والآن، كيف جاءه هذا القول؟ في اللحظة التي تفوّه فيها بهذه الكلمات تملكه الندم. وأجفلت هي. ثم واجهته، رافعة الرأس: «أتريد ذلك؟».

أيريد ذلك؟ يا لجهنم! ولكن عندما حدّق إليها، وتركها تهدأ، لم يكن هناك سوى جواب واحد: «لا، يا بيتا. لا أريد ذلك. أنا لست هنا لكي انتهز الفرصة وأخدعك. كان هذا غباءً مني وأنا آسف».

- سيكون ذلك من حقك بصفتك زوجي.

- لا أظنك عرفت رجالاً ذوي خُلُق، إذا كان هذا ما تظنينه عن الزواج، وأنه مجرد استغلال حقوق تأتي بشكل آلي.

فحدقت إليه، وطال تحديقها... وأخيراً سألها: «أخبريني بما تنوين عمله الآن؟».

- أتعني بشأن زواجنا؟

- لقد سبق أن تزوجنا. ماذا بعد ذلك؟

- بشأن حياتنا إذاً.

- بل كنت أفكر في كيفية قضائك فترة الصباح. ليس لدينا الكثير لنقوم به بين فترتي الصباح والغداء.

- آه، أتعني التسوّق مثلاً؟

- هل التسوق وارد على جدول الأعمال؟

- إننا نعيش من الأطعمة المحفوظة في البراد، ونحتاج إلى أشياء طازجة.

- أنا ماهر في التسوق.

فقالت باسمة: «أتريد أن تدخل إلى السوبر ماركت وتسوق عربة؟ ليس هناك علب كافيار قريبة من هنا».

- كفى!

فقالت بابتسامة مكتومة: «لا بأس. آسفة، لكنني واثقة من أنك لا تريد أن تأتي».

- وأنا واثق من أنني أريد ذلك.

- أنت . . .

- بيتا ، لا أريد أن أجلس مسجوناً في بيت هاتي لأسبوعين . بينما العالم يعتبر زواجنا قانونياً . أنا قادم معك .

- لكن الناس سيظنوننا . . .

- متزوجين؟ ولكن هذا ما يجب أن يظنوه . . .

وتردد قليلاً ، ثم سألها : «هل هناك من يريد أن يخطبك فيتراجع إذا رآني بجانبك؟» .

- هممم . . . لا .

رآها رائعة حتى أنه سيستمتع بالسير بجانبها في «السوبر ماركت» بينما هي تدفع عربته .

- إياك أن تفكر بالسخرية .

قالت هذا فطرف بعينيه . إنها بيتا قارئة الأفكار . وقال : «إسمعي ، بالنسبة إلى ناحيتي الشرفة المنفصلتين ، ذلك وضع يمكنني أن أقبل به ، أما بالنسبة إلى عربتي «سوبر ماركت» منفصلتين ، فذلك مبالغة في الاستقلال» .

- لا يمكن للمرء أن يكون مستقلاً تماماً ، أبداً . كنت أظن هذا شعارك .

كان هذا هو رأيه بالفعل . وأخذ يحدق في أثرها وهي تتوارى لتبحث عن حذاء محترم إلى حد يكفي لذهابها إلى المدينة ، وهو يفكر . . . نعم ، استقلال . ما الذي حدث لمثله الأعلى الآن؟

كان يوماً جيداً للغاية . . . يوماً لم ينعم ماركوس بمثله في حياته .

أولاً ، كان هناك الرحلة إلى «السوبر ماركت» . كان يظنها سترتبك ، لكنها ، بدلاً من ذلك ، قدمته إلى من صادفاه . وكان هو يرى الضحك المكبوت : «هاي ، يا سيدة ميكيل . هذا زوجي ماركوس» .

وكان ماركوس هو الذي يرتبك . وقالت له بيتا : «المفروض أن يعلموا أنك هنا . ذلك أن تشارلز يعرف أرقام تليفونات جميع سكان المنطقة وأنا واثقة من أنه سيتصل بهم لكي يتأكد من أنك هنا . أنت لا تمانع ، أليس كذلك؟» .

- لا ، أنا . . .

- على كل حال ، لن يكون عليك أن ترى هؤلاء الناس بعد مرور أسبوعين ،

سأكون أنا التي سأمثل دور العروس المهجورة .

- أنا واثق من أنك ستمثلين دور المطلّقة الحزينة بشكل رائع .

أخذت تضحك بصوت خافت : «الأفضل أن تصدق أنت ذلك . كم علبة معكرونة تريد؟» .

- ولا واحدة . تشترين المعلّبات بينما تستطيعين شراء مواد غذائية طازجة؟

- بكل تأكيد ، فأنا فتاة معلّبة .

- إذا كنت لا تريدين أن تصبحي مطلّقة غداً ، أعيدي المعلّبات إلى مكانها .

كان هناك أناس محليين ينظرون إليهما ، وهم يتهامسون ، كان الخبر ينتشر . قال وهما يراجعان قائمة المشتريات : «ليس هناك كثير من مشاعر الصداقة» .

- كان أبي يكذب ويخدع وكذلك ابن عمتي . ما زالت أسرتي منبوذة بشكل بالغ .

- حتى أنت؟

- تعلّمت مبكراً أن أنعزل عن الجميع .

كلما مرت ساعات النهار كلما ازداد افتتاناً بها . عندما عادا إلى البيت ، أخذته بيتا في جولة على الأسيجة ، قائلة : «إنها بحاجة إلى التفقد مرة كل أسبوع ، فالأبقار تتلفها ، وإذا خرجت المواشي ، فسأقع في مشكلة حقيقية» .

وهكذا سارا بجانب السياج وقد علقت بيتا في كتفها عدة تصليح السياج . ولكنها أمضت الدقائق الأولى من الجولة ، وهي تقول له : «لا تحملها لأنها قذرة وستوسّخ قميصك» .

فقال وهو يرفع العدة عن كتفها : «ما زال كاحلك يؤلمك ثم أنت متزوجة ، أنسيت؟ ألا يفترض بالزوج بأن يحمل هذه الأشياء؟» .

- في الأسر فقط حين تبقى الزوجة الصغيرة في البيت لتطبخ .

فقال ضاحكاً : «لا بأس بذلك ، خذي هذه المجرفة أحليها . أما بقية العدة ، فلا . لديك زوج فاستخدميه .

بدءا بإصلاح السياج . وأكلا شطائر كانت بيتا أحضرتها معها ، ثم جلسا على صخرة وأخذا يتأملان البحر . واستطاع ماركوس أن يرى سبب تلهف تشارلز إلى الحصول على حقوق تطوير هذا المكان .

سألها: «هل الشاطئ آمن للسباحة؟».

- هذا مؤكد.

- أيمكننا ذلك؟

- لا. لأن عليّ أن أحلب.

- ماذا؟ هل حان الوقت؟

- سيحضر هاري في أية لحظة. خذه واسبحا معاً.

- ألا يساعدك أحد في الحلب؟

- أنا أحب الحلب ولا أريد مساعدة.

- بيتا، أنت حصلت عليّ فاستخدميني.

- لا.

- أنت بحاجة...

- لست بحاجة إلى أكثر من مجرد اسم زوج. وأنت تعلم ذلك، شكراً للمرافقة، أجلس هنا لترتاح بينما أذهب أنا للحلب.

- بيتا، سآتي معك. لا بد أن كاحلك يؤلمك.

- كاحلي بخير. وسبق أن قلت لك إنك ستخيف الأبقار، إبق إذن بصحبة هاري.

لكن هاري لم يرغب بصحبة. فقد كان لديه دروس منزلية.

- أنا متأخر كثيراً. وهناك موضوع عن البراكين أريد أن أكتبه.

- أتريد مساعدة؟

- لا، شكراً على كل حال. لكنني اعتدت على القيام بواجباتي المنزلية بنفسي.

ولكن أليس ماركوس كذلك؟ ولم يعجبه هذا الشعور فعاد إلى الشاطئ.

هنا، على الأقل، يجد البهجة. فقد كان الماء رائعاً، وسبح بقوة. إنه لم يشتر عبثاً شقة يحق له فيها إنشاء بركة للسباحة داخل الجدران... لكنه أخذ يسبح وحده.

إنه يشعر بعدم استقرار بالغ. ما الذي يفعله؟

لا شيء. كان لا يفعل شيئاً. لا أحد بحاجة إليه. وكان حرياً بهذا أن يرضيه.

إجازة لأسبوعين لا يفعل أثناءها شيئاً.

وجعله هذا... لا يعرف ماذا... لم يحدث قط أن بقي يوماً دون عمل في حياته كما لم يشأ أن يحتاجه أحد أو يعتمد عليه... أحد لا يريده هو.

كانت تراقبه.

حلبت بيتا البقرات دون أن يغيب عن بالها للحظة الرجل الذي على الشاطئ. إنها تراه يسبح رواحاً ومجيئاً عند الخليج. وكان يبدو رائعاً بين الأمواج المتكسرة على الشاطئ. كان هناك فرق كبير بين الشخص الذي يسبح والآخر الذي كان يرتدي بذلة رجل الأعمال النيويوركي الأنيقة عندما أحبته.

أحبته؟ أتراها أحبت ماركوس بنسون؟

طبعاً... «وأحببته من كل قلبي».

قالت الجملة الأخيرة بصوت مرتفع ما جعل البقرة، التي كانت تنظفها، تلتفت وتحدق إليها متأملة.

فجلست على الحجر المبلّل بالماء وهي تبادل البقرة التحديق. ما الذي قالته؟ الحقيقة. إنها قالت الحقيقة.

وتساءلت: «كيف أقع في حب ماركوس بنسون؟ وهل هذا ممكن؟».

إنها الحقيقة.

والتفتت تحدق إلى البحر. ما زال يسبح رواحاً ومجيئاً بهدوء وثبات. فأخذت تحدّث بقراتها: «لسنا متشابهين على الإطلاق. إنه أشبه بـ«أمير ساحر» عصري، ماركوس الرائع هذا، الذي يسرع لإنقاذ الفتيات من الخوف والمشاكل، كل هذا جيد لكنه لا ينتج علاقة متلائمة».

- أتريدين علاقة متلائمة؟

- لا أريد أن أشعر طوال حياتي بأنه ينقذني.

- بل تريدين.

- لا.

كانت تتحدث إلى نفسها، إلى البقرات، إلى كل من قد يصغي إليها. أو ربما عقلها وقلبها يتجادلان.

- سيرحل خلال أسبوعين... وهو سيرحل و...

- ويحطم قلبك.

وهنا التقى العقل والقلب، وكان احساساً كريهاً، ولكن لا مناص منه.

وهمست لنفسها: «أنت أحببته حقاً، أليس كذلك؟».

فأجابت نفسها: «ربما، لكنه ليس الفارس المدجج بالسلاح الذي أريد... أو، ليس هو تماماً. إنه الرجل الذي يجعل هاري يضحك. الرجل الذي يهتم بمساعدته روبي ويجعلها تضحك. الذي يلوي قلبك...».

غباء! غباء! غباء!

وخاطبت نفسها: «استمري في ما تعملينه، إذن. أبقي قلبك خفيفاً مرحاً، وبعيداً. وفوق كل شيء، أبقيه سليماً».

أنهت بيتا عملها وعادت إلى البيت لتجد هاري يضع السجق في سلة للنزهات. وعندما وقفت بباب المطبخ تنظر إليه قال: «ليلة على الشاطئ».

و(ليلة على الشاطئ) هي عادة ساروا عليها سنوات. في الليالي الدافئة كانوا يأخذون عشاءهم إلى الشاطئ، حيث يشعلون ناراً ويطهونه، ثم يسبحون ويأكلون ثم يعودون إلى البيت.

إنها فكرة رائعة، ولكن... هل هي كذلك بوجود ماركوس؟

وقال هاري: «إنه ما زال هناك. ذهبت لأرى فوجدته يركض، فبدا أشبه بنقطة في الأفق. أظن بإمكاننا أن نشعل النيران للطهي قبل أن يعود».

- أظن... ألا يريد أن يطهي بنفسه؟ لقد اشترى الكثير من الطعام هذا الصباح.

- إنه دورنا في الطهي، ونحن نقلي سجقاً لذيذة. أنا سأقليه كيلا تحرقيه أنت.

- شكراً.

- ولكن...

- ولكن ماذا؟

ولكنها كانت فقط تعلم أن ذلك ليس عملاً حكيماً.

كثيراً ما كانوا يقومون بهذا الأمر، وهكذا عندما عاد ماركوس من رياضته، كانت النار تشتعل، والسجق يئز في المقلاة. وكان ماركوس رأى النار من بعيد فأدرك أنهما هناك ينتظرانه. وصلته رائحة السجق ولم يكن بحاجة إلى صياح

هاري يعلن له ذلك: «إننا نصنع طعاماً هنا. أسرع».

وكانت بيتا تقلّب السجق، وكانت ترتدي ثوب سباحة ولكن فوقه قميص مقفل... للأسف.

وابتسمت بيتا له، فشعر كأن وجهه يحمر خجلاً.

- هل أنت من الشجاعة بحيث تأكل قطعة من طعامي؟

قالت له ذلك شاعرة بالعطف عليه لكنها ما زالت تبتسم. وأسرع هاري يطمئنه: «قمت أنا بمعظم الطهي كما احضرت كعكة الحلوى التي اشتريتها أنت اليوم من الخباز».

- لن أخاف إذن من أن تكون مسمّمة؟

سألها فاتسعت ابتسامتها، كانت لها أجمل ابتسامة... وقالت: «طهيي ليس سيئاً إلى هذا الحد».

فقال هاري ببشاشة: «بل هو كذلك. كم تريد من السجق يا ماركوس؟ ثلاث أم أربع؟».

- أريد ستاً.

وجلس على البساط المفروش. لم يكن، عادة، يهتم بالسجق، لكنه يبدو الآن عظيماً. فهو جائع للغاية، حتى ولو أحرقته بيتا...

وقالت وكأنها تقرأ أفكاره: «إذا كنت جائعاً فقد تأكل أي شيء. وتعليم الطهي في المدارس هو تضييع للوقت».

- وهل الطهي هو تضييع للوقت؟

- أنا واثقة من أن أهم شيء لديك هو عملك.

وغمزت بعينيها الخضراوين فضحك. إن لديها قابلية للإغاظة، لكي تجعله يبتسم. لكي تجعله يشعر... يشعر وكأنه يريد أن ينقذها. أن يأخذها كسندريللا ويجعلها شريكة حياته. وحاول بعنف أن يعود بحواسه إلى الأهم: «هل أحضرت كتشب؟».

فنظر هاري إليه بحيرة: «كتشب؟».

فقالت له بيتا: «إنه يعني الصلصة. إنه يتحدث اللغة الأميركية».

فقال له هاري وهو يناوله زجاجة الصلصة: «عليك أن تتعلم الأسترالية.

حتى أنها ليست صلصة بل تدعى «الحصان الميت». ، عليك أن تقول ناولني «الحصان الميت». وكل أسترالي يعرف ماذا تعني».

فقال ماركوس بفتور: «عليّ أن أتعلم الكثير إذاً».

فقال هاري: «هذا صحيح. وعليك أن تسرع لتحفظ كل ذلك خلال أسبوعين».

أكلوا السجق وكعكة الشكولاته، ثم ذهبت بيتا لتسبح. بينما عاد هاري إلى البيت لكي ينهي فروضه المنزلية. ربما على ماركوس أن يذهب، هو أيضاً، ولكن كيف يترك بيتا وحدها؟ إنها تسبح الآن وحدها وهو باقٍ هنا.

كان في الحقيقة يريد أن يعود إلى السباحة، لكنه لم يستطع. هناك شيء منعه من ذلك.

لم تكن تسبح مثله. لا بد أنها متعبة، كما رأى، وهو يراها تطفو على ظهرها وهي تحدق إلى غروب الشمس الملتهب. إنها مستيقظة منذ الخامسة هذا الصباح وأمضت معظم الوقت تجدّ في العمل. ولا بد أن كاحلها يؤلمها. ولم تكن بحاجة إلى أن تبسط عضلاتها مثله. كانت راضية بأن تطفو على ظهرها.

كانت راضية. وهذا هو الفرق، في نظره. وكان هذا ما جذبه إليها. كانت . . . مسالمة. لقد عادت تستقر في واجباتها الكثيرة بابتهاج. كل ما تريده هو مزرعتها ومستقبل لأخوتها. إنها ليست بحاجة لشيء آخر.

المشاكل التي تفسد وتسمّم وتغضب حياة الآخرين لم تكن تعني لها شيئاً.

إنها لن تقبل ما سيعرضه عليها. وهزته هذه الفكرة، هل كان يعرض عليها؟

إنه لا يعلم، فهذه الفكرة كامنة متغلغلة في أعماقه وتنمو شيئاً فشيئاً.

إنها جميلة، وتجعله يبتسم. إذا استطاع أن يعود بها معه إلى أميركا . . . ويعيشا معاً في سعادة طول الحياة. . . لكنها لن تترك هاري.

بإمكانها أن تحضره معها.

بإمكانه أن يضع مديراً للمزرعة، فيحفظها آمنة لهما . . . لمستقبلهما.

ما هذه الأفكار الجهنمية التي تراوده؟

وقرر بعنف أنها لا شيء. . . لا شيء مفهوماً. فقد سبق وقرر أنه سيعيش وحيداً. . . فما الذي تغيّر؟

إنها بيتا. . . لقد غيّرته بيتا. وأخذ ينظر إليها وهي تطفو، متلهفاً إلى الإلتحاق بها، لكنه أرغم نفسه على البقاء، والتصرف بعقلانية. وعندما خرجت من الماء، كان قد أقنع نفسه تقريباً بأن أفكاره كانت هراء.

سارت نحوه وهي تبتسم وتهز رأسها وتنفض الماء عن شعرها. وجلس ماركوس على الرمال وأخذ ينظر إلى بيتا تجفف رأسها بالمنشفة، وهي تبتسم له ببساطة. . . كل شيء ببساطة.

وكان هذا شعوراً لم يعرفه في حياته. لقد أمضى نصف الساعة الأخيرة جالساً لا يفعل شيئاً. ترك الليل يتغلغل في كيانه، والمكان، والزمن.

وقال لها برقة: «أنت جميلة».

وتعلقت كلماته في الليل تعد بشيء لم ينكشف بعد.

توقفت عن تنشيف شعرها وحدّقت إليه. . . فكر في أنها ستضحك بصوت خافت، أو تستنكر، أو ترفع حاجبيها. لكنها، بدلاً من ذلك، ابتسمت له بعطف تقريباً: «وأنت لست سيئاً».

- آه، شكراً.

جوابه كان تافهاً لكنه كل ما استطاعه. ووقف ثم أخذ منها المنشفة: «دعيني أفعل ذلك».

فابتعدت عنه: «أنت لا تريد أن تفعل ذلك».

- أن أنشف شعرك؟ بل أريد، كثيراً.

فتلاشت ابتسامتها: «أنت تعرف ما أعنيه. الأمور الشخصية لن تنجح».

- لماذا لا؟

- ليس أي منا في وضع يجعله يذهب بهذه العلاقة أبعد مما هي عليه.

- إن لدينا أسبوعين. . .

وكان قوله هذا خطأ، فقد جمّدت ملامحها وقالت له: «تمسك بناحيتك من الشرفة يا ماركوس. أو ربما الأفضل لك أن تعود إلى بيت هاتي».

حدث نفسه بيأس بأن يبقي الأمر مرحاً: «آه، لا. كل شيء ما عدا ذلك».

- لا تلمسني إذن.

- لماذا لا تريدين أن يلمسك أحد؟

- من قال إنني لا أريد أن يلمسني أحد؟

- افترضت ذلك . . .

فقالت بشراسة : «أنت تفترض كل شيء . . . وعلى الدوام . لقد احتجت أنا إلى قبول عرضك السخي للغاية بأن تتزوجني وتنقذ مزرعتي لكن هذا لا يجعلني أميل إلى أن أراك أروع الرجال طوال حياتي» .

- أنا لم . . .

- لم تشأ أن تكون الأروع؟ لا ، طبعاً لم تشأ ذلك . أنت لا تريد أن تقف على قاعدة تمثال ، وأنا لا أريد أن أبقيك هناك . ولكن ، عندما تنزل . . . كما ترى ، المشكلة هي أنك متى تنزل عن قاعدتك يا ماركوس ، عندها فقط يمكنني أن أرى الانسان فيك ، أو ليس مجرد إنسان . . . بل شخص ذي حاجات مثلي ، وربما أشد شعوراً بالوحدة ، شخص جميل وسخي ويبتسم ويجعلني أشعر في داخلي . . . لا ، لا يا ماركوس . . . لا . . . أنا لم أعن . . . أنا لم أكن . . . .

لم يستطع أن يسمع ما لم تكن تعنيه . وكيف يمكنه ذلك وهي تقف هناك وشعرها يقطر ماء وعيناها الخضراوان تلمعان ووجهها جاد والحزم يكسو ملامحها؟

كانت حلوة للغاية . ومدّ يده يمسك بيدها فاشتبكت أعينهما .

بعد ذلك لم يتذكر من بدأ . أتراها وقفت على أطراف أصابعها لتستطيع معانقته أم هو الذي أحنى رأسه ليضمها بين ذراعيه .

لا بأس . لا شيء يهم . . . لا شيء سوى أن جسدها التصق بجسده فلم يعد يشعر سوى بحرارتها .

بيتا . . .

لم يعرف ما إذا كان نطق بهذه الكلمة حقاً . . . ما إذا كان لفظ اسمها .

ولكن بدا وكأنه صاح باسمها ، وكأن جسده بأجمعه كان يصرخ بابتهاج .

بيتا!

إنها فتاته . فتاته! أحاط خصرها بذراعه يشدّها إليه برغبة فائقة .

هنا توقف الزمن . أم لعله ابتدأ؟ شعر وكأن قلبه قد توقف عن الخفقان ثم ابتدأ يخفق مرة أخرى من جديد ، ثم أصبح شخصاً آخر . عجباً إنه . . . الفرح

الغامر .

لم يعرف قط أن بإمكانه أن يشعر بشيء كهذا . . . طوال حياته . مرحلة طفولته المجدبة ، وفظاعة فترة عمله في الجيش ، الثقة بأنه لن يستطيع أبداً أن يتآلف مع أحد . وأن الناس يختفون حين نكون بحاجة إليهم . الوقت الذي أمضاه في الخليج ، حيث تعلّم الصداقة لأول مرة ، ولكن ليرى ذلك يُنسف أمام عينيه . سنوات العمل حيث لا شيء يهم هناك سوى المال . حيث الموظفون أناس عليك أن تحسن معاملتهم ، ولكن عليك أن لا تتورّط أبداً أبداً . . .

وها قد تورّط الآن . . . إنه متورط بكل قلبه .

وهذه المرأة هي زوجته . زوجته؟ أية معجزة هذه؟ وطالت فترة العناق . وكانت بيتا تستسلم للحرارة بين ذراعيه فيضمها إليه بقوة .

رباه . . . إنه يريدها . . . يريدها أكثر من الحياة نفسها . أكثر مما حلم قط بأنه سيرغب بامرأة .

- بيتا . . .

وطال العناق إلى الأبد . كانت الأمواج تتدحرج مقبلة ومدبرة ، والكلاب تعود وتدور حولهما ، وقد تملكها قلق غامض لانعدام حركتهما ، ثم لا يلبث السأم أن يتملكها ، فتعود من حيث أتت . . . كلها ما عدا الكلب تيد الذي كان مستلقياً عند قدمي سيدته يئن برقة وكأنه يحذرهما .

لكنها لم تكن تبالي بأيّ تحذير . فقد منحت نفسها لهذه اللحظة ، للمشاعر التي كانت تتملكهما معاً . هنا رجل ، وهنا زوجته . رجل وامرأة ، في شخص واحد .

وكان لهذا أن ينتهي . وكان الغروب قد استحال إلى ليل . وعليه هو أن يأخذ الخطوة التالية .

تراجع ، بشكل ما ، وأخذ يحدق إلى وجهها . ونظرت هي إليه وفي عينيها ارتباك ، وحنان ، لكن تلك الابتسامة الرائعة ما زالت هناك . الضحكة التي أعجبته مذ رآها للمرة الأولى ، وقال بصوت لم يكد يعرفه : «يبدو . . . يا بيتا ، أنك حقاً زوجتي . زوجتي» .

فتلاشت ابتسامتها : «ماذا تعني بقولك هذا؟ بأنني زوجتك» .

- أخذنا على نفسنا عهود الزواج.

- لا.

وأخذت تتراجع وأثر من خوف على وجهها: «لا... لم نكن نعني ذلك».

- لم نكن نعنيها، لكنها تتحقق.

- لكي تتملك وتتمسك؟

- هذا هو الأمر.

فقالت تتلو كلمات العهود الزوجية: «(في الصحة والمرض، معاً حتى يفرقنا الموت. أن نبقى شخصاً واحداً)... لا أظن ذلك يا ماركوس».

- ربما لا.

قال هذا ببطء. إنه لا يعني ذلك، لا توحّد كامل. إنه يراها جميلة جداً. أكثر النساء إغراء... لكنه أرغم، بشكل ما، عقله المضطرب على أن يفكر.

إنه يعيش وحيداً. وقد نشأ ليكون وحيداً. كُتب عليه هذا منذ ولادته، فكيف بإمكانه أن يغيّر ذلك الآن؟

لكنها هي أيضاً وحيدة. إنها مستقلة. وهي ليست متشبثة به، وستأخذ ما يمكنه أن يعطيها.

- لا.

قالت له هذا فحدّق إليها: «لا؟».

- أنا أعلم ما توشك أن تقترحه، ولا أريد الاشتراك به.

- بيتا، إننا متزوجان.

- نحن لسنا متزوجين.

- أتنكرين أنك تريدينني؟

- أنا أريدك طبعاً، ويمكنك أن تشعر بذلك. كما أشعر أنا بأنك تريدني. لكن هذا لا يكفي.

- لماذا لا؟

- لأنني أريد كل شيء. كل شيء أو لا شيء، ولن أقبل بأقل من ذلك.

- ماذا تعنين بذلك؟

- لأنني وقعت في غرامك، يا ماركوس.

بهذه البساطة. ولم يصدّق أنها قالت ذلك، فوقف مذهولاً.

- لا أدري ماذا تعنين.

فهمست: «أنا أعلم أنك لا تدري، ولكن... آه يا ماركوس، أريدك أن تعلم».

- يا لهذا...

لكن وجهها عاد إلى جموده: «هذا غباء مني. إنني أبحث عن حكاية خرافية. غباء، غباء، غباء! وقد حان وقت عودتنا إلى البيت».

ووقفت وحملت سلة حاجيات النزهة وهي تحوّل عينيها عنه. وشعر هو بذلك، وتألم. كان هذا تراجعاً فآلمه ذلك أكثر مما كان يتصوّر أنه سيؤلمه.

- آسف. ما كان لي أن أعانقك... أعني أن أدعك تعانقينني...

- نحن الإثنان رغبنا في ذلك.

- أعلم هذا. ولكن ليس الذهاب... إلى أبعد من ذلك.

فقال بسرعة: «يمكننا ذلك. إسمعي يا بيتا. مسألة الحب أنا لا أعرفها. أنا لم أحلم قط... إلا بك... وبما أشعر به نحوك... أنا مستعد للمخاطرة».

- هذا كثير منك.

- لا.

وحاول أن يمسك بيدها فتراجعت.

- لا، يا بيتا. إصغي إلي. نحن متزوجان. ويمكننا أن نقوم بهذا الأمر. يمكنك أن تجعلي هذا المكان قاعدتك ما دام هاري بحاجة إليك. لكنني سأعيد بناءه وأجعله مناسباً لك. وستزورينني في نيويورك عندما يكون لدي وقت فراغ...

- ستجعل هذا المكان مناسباً لي؟

أصبح صوتها خطيراً فجأة.

- إنه نفاية، ولكنه يمكن أن يصبح خرافياً بجماله. أيمكنك أن تتصوري ما الذي نستطيع أن نبنيه هنا؟

- وأنت ستقوم بالزيارة... كم مرة؟

- عملي في نيويورك. لكنني سأكون أمضيت أسبوعين هنا الآن. وسآتي

عندما أستطيع ذلك.

- هذا يبدو شيئاً عاطفياً للغاية.

لكن لهجتها الساخرة كانت تبدي العكس.

- تقولين إنك تحبينني.

- أنا لا أحبك بذلك الشكل.

- بأي شكل؟

- بشكل أن أذعن لك لأنني أحبك. أنا أحببتك بعنف يا ماركوس وبغباء بالغ. لكن لدي من الإدراك ما يكفي لأدرك أنه لن ينجح.

- بل سينجح.

وأمسك بيديها مرة أخرى فجمدت مكانها.

- دعني!

- بيتا.

- قلت لك دعني. الكلاب مدرّبة.

- أتقولين إنك ستحملين الكلاب على مهاجمتي؟

سألها ذلك غير مصدق، فأجابت: «بكل تأكيد».

عند ذلك تصاعد غضبه. ما هي اللعبة التي تلعبها؟

- يا لجهنم، يا بيتا! إذا أنا رحلت، إذا عدت إلى نيويورك غداً، مستغرقين.

- أتقول إنك ستبطل كل شيء لأنني رفضت أن أنام معك؟ لأنني لم أتلاءم مع خطتك الجنونية لزواج وهمي ثم تدع تشارلز يأخذ المزرعة؟

جمد مكانه. أي جهنم...؟ «طبعاً لا. فأنا لا أستعمل الابتزاز».

حدقت إليه طويلاً وقد برد غضبها، ثم قالت: «هذا حسن إذن. إذن فأنت لن تبتزني وأنا لن أفعل أي شيء آخر. تصبح على خير، الأفضل أن لا تأتي إلى قرب الشرفة الليلة».

- ولكن...

- تصبح على خير.

٨ - لا داع لاستمرار الزواج

تلا ذلك خمسة أيام متوترة للغاية.

وسأل هاري: «ألم تعودا تحبان بعضكما البعض؟».

فأجابه ماركوس: «بل نحب بعضنا البعض».

كان يطهي «بيفتيك» مع فطر. وسيأكل هاري معه ثم يأخذ إلى البيت صحفة مليئة لبيتا لتأكلها عندما تعود من الحلب.

ذلك أنها رفضت أن تأكل معه مرة أخرى. وقد أنهمكت بنفسها في العمل في المزرعة وتركت ماركوس حراً في العناية بنفسه.

آلمه ذلك، لكنه عاد فتقبل الأمر على أنه الأفضل. لم يستطيعا الاقتراب من بعضهما البعض دون أن يتطاير الشرر.

لكنه تعلّق بهاري، وبشكل أكثر مما يريد أن يعترف، وبينما كانت بيتا تمضي وقتها مع أبقارها، لتتجنبه، كان هاري يحمل فروضه المنزلية إلى البيت الوردي كل ليلة. كان يثرثر بينما ماركوس يطهي أو يعمل على جهازه الكومبيوتر المتنقل، وكان فضولياً ودوداً وبحماسة ابن الثانية عشرة. وكان ماركوس يعلم أنه، بعد انتهاء الأسبوعين، لن تكون بيتا وحدها من سيفتقد.

فلماذا لا يفعل شيئاً بهذا الشأن؟ ولكن ماذا بإمكانه أن يفعل؟ لقد سبق وطلب من بيتا أن تقبل بتعميق العلاقة بينهما... عرض عليها...

لكنه لم يعرض عليها ما يكفي. لم يعرض عليها نفسه.

وقال لهاري الآن وهما يقطعان البصل بعيون دامعة: «أنا وحيد، وبيتا وحيدة أيضاً، وهذا هو السبب في أنها تأكل عشاءها وحدها».

- عندما كان أخوتي في البيت لم تكن تأكل عشاءها وحدها قط. ذلك فقط لأنها تتجنبك.

- إذن، فهي لا تودّني.

- بل هي تودّك طبعاً.

وفكر ماركوس في أن السبب يعود لأكثر من مجرد شعورها بالود تجاهه. لكنه لم يقل ذلك.

كان هاري وماركوس في بيت هاتي يعدّان العشاء، بينما كانت بيتا تجلس مع بقراتها مدة أطول مما تحتاجه... أطول بكثير.

عليها أن تذهب إلى البيت، بعد قليل، إلى حيث تجد طبقاً يحتوي على عشاء لذيذ، في فرنها، من صنع ماركوس. كان هاري قد أحضره وتركه لها لكي تأكل بمفردها. إن هاري يظنها مغفلة.

وهو على حق، فهي مغفلة.

لا، فما يحدث هو شيء خطير. إنها تعرف عن قلبها ما يكفي لتدرك كم هي ضعيفة. لقد أحبته بقوة. ولماذا لا؟ أخذت تتساءل بمرارة. فقد أنقذ عالمها، وألبسها ثياب الأميرات وحملها بين ذراعيه. وها هو ذا الآن يعرض عليها... إنه يعرض عليها عالمه.

وهكذا عليها أن تقبل ذلك. وترضى بالفتات؟

هذا ما يعرضه. لم يكن ماركوس يعرض قلبه قط. إنه يبقي نفسه منعزلاً.

بإمكانها أن تنام بين ذراعيه كل ليلة... لكن ماركوس لم يكن يعرض عليها هذا حتى. نعم، تنام بين ذراعيه عندما يجد الوقت مناسباً لذلك. أما بقية الوقت... فهي تنام هنا في البيت الفخم الذي سيبنيه بأمواله... وتبقى شاكرة له إلى الأبد...

يا للغباء! كل شيء هو غباء. وقالت تحدث الكلب تيد وهو يدس أنفه في يدها بقلق: «إنه يحلم بتمثيل حكاية خرافية وعلى واحد منا أن يكون متعقلاً».

لا أريد أن أكون متعقلة. أريد أن أذهب إلى هناك وآكل معهما، وأضحك مع ماركوس، واستمتع بالعمل الذي يساعده هاري عليه، ثم أعود معه إلى ناحيتي من الشرفة و..

كفى... عليها أن تتوقف عن الأحلام إذ ليس لديها خيار آخر.

وربتت على رأس كلبها مرة ثم نهضت لتحضر خرطوم الماء لتغسل الحلب.

وبعد ذلك تذهب إلى بيتها لتتعشى، ثم تأوي إلى السرير، وحدها.

كان الصباح في منتصفه عندما جاءا.

وكانت بيتا في المرعى تغسل جرناً تشرب منه الأبقار. رأت السيارة تتحوّل إلى طريق البيت، وكان ماركوس في بيته. الساعة الآن التاسعة صباحاً وهذا يعني الخامسة ليلاً هناك في نيويورك، وغالباً ما يكون في هذا الوقت في اجتماع يعقد مع شخص ذي أهمية. ربما الأفضل أن تعود إلى البيت لتعترض سبيل الزائرين قبل أن يقاطعوه.

ربما إذا قوطع سيخرج...

لا. إنه لم يمض أي وقت معها سوى اليوم الأول. إنه لن يخرج، فقد أخبرته بأن يبقى بعيداً ويبدو أنه وافق.

ومن يلومه؟ تلك الليلة على الشاطئ كانت خروجاً عن الطريق المستقيم. ونظرت إلى نفسها بابتسامة أسى. كانت مغطاة بالوحل. كان الجرن قد فاضت مياهه حتى أصبح الوحل حوله بمستوى الركبة. وكان عليها أن تغوص في هذا الوحل لتوقف تسرّب المياه بصرف النظر عن القذارة.

مسحت وجهها بظاهر يدها وتمنت لو أنها لم تفعل ذلك.

إذاً، من هم الزائرون؟

وتمنت إلى الله أن لا يكونوا من ذوي الأهمية.

كان ماركوس يحدق إلى شاشة الكمبيوتر دون أن يرى شيئاً. بدا وكأن ذهنه الحاد قد ابتدأ يسهو. وبدلاً من التركيز على عمله، بقي انتباهه مشدوداً نحو النافذة. كان يراها أحياناً في ثوب العمل والجزمة المطاطية الطويلة، وشعرها مجموع إلى الخلف باستثناء خصلات منفلتة.

- هل أنت هناك، يا سيد بنسون؟

كان هذا تليفون قاعة الاجتماع الذي كان ينبغي أن يركز اهتمامه عليه. لكن بيتا... إنه يراها هناك في المرعى، تنقب في جرن ما.

بدا ذلك... مضحكاً؟

- أنا هنا.

وكلفه تحويل اهتمامه عن النافذة إلى الشاشة جهداً كبيراً.

ثم سمع صوت سيارة تتحوّل نحو طريق البيت. هذا عظيم. عليه أن يغطي الكمبيوتر لأن بيتا بعيدة لا يمكنها استقبال الزائرين.

قال يحدث الشاشة غير عابىء بحل المشكلة العالقة: «عليّ أن أترك هذا الأمر، يا سادة».

كان لديه مشاكله الخاصة التي لا علاقة لها بنيويورك.

أو ربما كانت كذلك. وخرج ليرى السيارة تقف أمام باب البيت الرئيسي، وعندما نظر مدهوشاً، خرج منها داريل الذي حياه بيده، ثم دار حول السيارة وفتح الباب.. إنها روبي.

* * *

- القيام بمثل هذا الأمر من نيويورك كان معقداً للغاية.

كانوا جميعاً جالسين على الشرفة من ناحية بيتا. وكانت بيتا قدمت إليهم عصير الليمون كأي مضيفة جيدة، وتخلصت من «الجزمة». المطاطية وهي الآن جالسة تؤرجح قدميها. وكان في أحد جوربيها ثقب بان منه إصبع قدمها.

كان ماركوس يحاول أن يركز اهتمامه على أمرين: ما كانت تقوله روبي، وإصبع قدم بيتا. لو كان أخبره أحدهم بأن إصبع قدم امرأة قد يثيره، لقال إنه مجنون. كان إصبع قدمها يصيبه بالجنون.

- ما هو الأمر المعقد الذي لا يمكن القيام به من نيويورك؟

فابتسمت روبي له. كانت تبدو راضية عن نفسها كلياً. وقد جلس داريل بجانبها فبدا، هو أيضاً، أشبه بقطة اصطادت طير الكناري لتوّها.

ما الذي يدور بين هذين؟

وقالت روبي: «إنه بشأن وصيتك».

- وصيتي؟

فقالت له وكأنها تمزح مع صبي: «وصية عمة بيتا. ركز على كلامي، لأجل الله، يا ماركوس».

روبي تخبره أن يركز اهتمامه؟ فرفع يديه مستسلماً: «لا بأس، وصية هاتي. ماذا بشأنها؟».

- طلبت مني أن أبحث بشأنها قبل أن تغادر نيويورك، إذ لم يكن هناك وقت

للبحث قبل أن تضطر إلى الزواج. لكننا قمنا بذلك الآن.

والتفتت إلى بيتا: «لقد أخبرت ماركوس أن عمتك كانت تعاني من ارتفاع في مستوى الكلسيوم وكانت مشوّشة الذهن في آخر أسبوع من حياتها؟؟».

فقطبت بيتا: «أنا... نعم. كانت مشوّشة قليلاً. لم تكن صافية الذهن تماماً حين غادرت بيتها هنا. وكنت أنا قلقة عليها حقاً».

- هل كنت تعلمين أن طبيبكم هنا كان أخذ عينة من دمها لفحصها قبل أن تغادر استراليا بأسبوعين؟

- كان يُجري لها فحص الدم على الدوام.

فقالت روبي وهي تخرج من حقيبتها ورقة رسمية: «هذا صحيح. إحدى الأوراق الرسمية التي جعلك ماركوس توقعينها قبل رحيلك منحتنا السلطة كي نتفحص السجلات الطبية. وضعنا فيها طلباً للمعلومات على أساس أنها توفيت الآن، وأنك في وضع يؤهلك للخسارة».

- كيف أكون في وضع يؤهلني للخسارة؟

- هذا بسبب تغييرها وصيتها. لأن هناك وصية قبلها تركت لك فيها المزرعة كلها.

ازداد تقطيب وجه بيتا: «أتذكّر هذا. دوماً كانت تقول إنها كتبت وصيتها. لكن ذلك كان قبل ذهابها إلى الولايات المتحدة بوقت طويل».

فأجابت روبي: «طبعاً. وقد وجدنا ذلك، لقد اكتشف محامونا أن هاتي كتبت وصيتها قبل سنتين من موتها، أي قبل مرضها بوقت طويل. وتركت الوصية مع محامي من «يورالا». ».

فسألتها بيتا: «وما علاقة ذلك بي؟».

- هذا هو سبب حضورنا. كنت أعلم أنكما لم تستطيعا البحث لأنه كان عليكما أن تمكثا في المزرعة وتستمتعا بزواجكما السعيد. كنت قررت أن أرسل أحد محامي ماركوس إلى هنا، ثم فكرت في أنني قد أتمكن من ذلك بنفسي، كما أن داريل قرر أن يأتي هو أيضاً.

ولأول مرة يراها ماركوس مرتبكة مشتتة الذهن. لكنها كانت تتابع: «احزرا ما وجدناه. وجدنا سجل هاتي الطبي. كان ماركوس على حق. مستوى

الكلسيوم في دمها كان مرتفعاً للغاية قبل أن تغادر استراليا. وعندما خضعت في نيويورك إلى رعاية طبية، أثبت سجلها الطبي هذا. ارتفاع الكلسيوم يرغم أي قاض على أن يقرّ بأن حكمها على الأمور يصبح ضعيفاً بشكل ملحوظ قبل وفاتها بستة أسابيع على الأقل. أنا وداريل هنا منذ يومين وكنا نعمل بجد. لقد حصلنا على رأي قانوني من المحامين في الولايات المتحدة. واتفقوا جميعاً على أن المزرعة من حقك، يا بيتا، سواء كنت متزوجة أم لا. وتشارلز لن يستطيع أن يلمسك».

حدقت بيتا إليها دون أن تفهم على الفور: «هل... هل المزرعة ملكي؟».

كانت روبي ما زالت تبتسم، فقالت وهي ترمق ماركوس بنظرة جانبية، متوقعة أن يكون مسروراً: «نعم، إنها لك، لقد أخبرني ماركوس بأن أفعل كل شيء لكي أبحث عن وصية. لأنه كان ارتاب في شيء كهذا».

- ارتاب...؟

- لم يكن واثقاً طبعاً، وإلا لما تزوجك أبداً.

- هذا صحيح، وإلا لما تزوجني.

ونظرت بيتا إلى ماركوس بجمود. بينما قال داريل وهو يبتسم ساخراً: «وهكذا، كل ما عليكما الآن، هو أن تفسخا الزواج. إلا إذا كنتما، طبعاً...».

فقال ماركوس بحدة: «لا، لم يحصل بيننا شيء».

- هذا حسن، أنا مسرورة لحسن إدراككما هذا.

قالت روبي هذا وقد تلاشت ابتسامتها وأخذت تنقّل نظراتها بين بيتا وماركوس، لأول مرة تشعر بتيّار خفي يسري بينهما.

- روبي...

- حسناً، هذا ما جئنا لنخبركما به. لقد أطلع آدم وغلوريا تشارلز على بطلان الوصية القانوني الليلة الماضية. هكذا، يا بيتا، المزرعة هي لك دون شروط. لقد أحضرت الأوراق الرسمية لفسخ الزواج، ويمكنكما متابعة حياتكما وكأن شيئاً لم يحدث. ماركوس، لم تعد بحاجة إلى البقاء هنا.

- هذا صحيح.

- إلا إذا شئت ذلك. إنك بحاجة حقاً إلى إجازة.

- هذه ليست إجازة حقيقية.

قال ماركوس هذا فاحمر وجه بيتا، وتمتمت: «مسكتنا ليس خمس نجوم».

ووضعت كأسها والتفتت إلى ماركوس: «ويمكنك أن تعود إلى وطنك».

- نعم.

ولم يكن هناك شيء آخر ليقال.

فقالت: «وأنا أشكرك للغاية...».

- لا حاجة بك لذلك.

- بل هناك.

كان مشهداً رسمياً سخيفاً، ولكن يبدو أنه لم يكن بإمكانها، حالياً، التحدث بغير هذه اللهجة، وكانت تتابع قائلة: «لا أستطيع... لا أدري كيف أرد جميلك. لو أمكنني التفكير في أي شيء...».

- ما عرضته عليك ما زال قائماً...

قال ماركوس لها هذا بينما روبي وداريل ينظران بصمت.

- ما هو... أن تبقي زواجنا جارياً؟

صدرت عن روبي شهقة خفيفة، لكن ماركوس لم يحوّل نظره عن بيتا: «هذا صحيح».

- الزواج يكتمل حين تتكيف مع ظروف حياتي.

- لا تكوني سخيفة! يمكننا القيام بذلك، هذا إذا شئت أن تمنحي الأمر فرصة.

- ما هو هذا الأمر الذي لا يستحق فرصة ثانية؟

ألقت روبي هذا السؤال فالتفتت بيتا إليها يائسة: «إنه يريد أن يبني لي بيتاً فخماً هنا، بدلاً من الشرفة. ثم نزوره أسبوعين في العام. وبقية السنة يضعني في شقته الرخامية السوداء لأبقي له سريره دافئاً وأكتفي بالعشرين دقيقة التي يمكنه أن يوفرها لي من عمله يومياً».

فقال ماركوس بحدة: «هذا ليس عدلاً».

- ما الذي عرضته عليّ غير ذلك؟

- أنا أدير أمبراطورية مالية يا بيتا. لم أطلب من امرأة قط غيرك أن

تتزوجني . . .

– وعليّ أن أكون شاكرة حقاً .

– ماذا تريدين غير ذلك .

كانا غير واعيين إلى أن روبي وداريل كانا يصغيان بلهفة . فقد كان هذا الأمر غاية في الأهمية . . .

– أريدك أنت .

– لا أدري ماذا تعنين .

– استنتج إذن بنفسك .

قالت بيتا هذا وهي تتأوه ، ثم انحنت كتفاها وكأنما عادت هموم العالم تثقل مشاعرها . ثم التفتت إلى روبي وداريل : «آسفة . إن فضلكما كبير عليّ ، هل عليكما أن تعودا إلى نيويورك على الفور أم بإمكاني أن استضيفكما هنا لليلة أو اثنتين؟ مسكني بدائي كما تريان» .

فقال داريل : «إنه يبدو لي رائعاً» .

وألقى نظرة جانبية على ماركوس : «لقد أمضيت شهوراً في ساحة المعركة ، وكذلك ماركوس ، فأنا لست بحاجة إلى بيت مبني من الرخام» .

– هل ستذهب إلى الوطن مباشرة؟

ألقت روبي هذا السؤال على ماركوس ، فحاول أن يستجمع أفكاره المشوّشة . ولماذا لا؟ البقاء هنا ممل . ما الذي تتوقعه بيتا؟ أن يشاركها «جزمتها» المطاطية؟ إنه لم يبذل كل ذلك الجهد في العمل طوال حياته لأجل هذا .

وقال لهما : «نعم . سأذهب» .

فقالت روبي وهي مازالت ترمقه بنظرات مبهمة تنبئ بعدم تركيزها على الموضوع : «أنا لم أحصل على إجازة منذ سنوات . هل تمانع إذا أنا بقيت هنا؟» .

– إمكثي هنا إذا كنت تحبين اللون الوردي .

فهبّت بيتا تقول : «اللون الوردي غير كريه . إذا كان الشخص سعيداً فهو لا يلاحظه» .

– بل يلاحظه طبعاً .

فقالت له : «استمتع بالحياة ، يا ماركوس» .

– أنت هي من ترفض ذلك . . . فقط لأنك لا تحبين الرخام الأسود .

– إذا كنت تظن أن هذا هو سبب رفضي ، دماغك إذن من حجر . أنا أرفض لأنك لا تستطيع أن تفهم أن ما عرضته عليّ ليس مهماً . وأنني عرضت عليك الشيء الوحيد المهم . ولكن لم يكن لديك فكرة عن كيفية الرد على ذلك ، كما أنني لست واثقة من أنك تريد ذلك .

ورحل ماركوس بعد نصف ساعة من عودة هاري من المدرسة . كان بإمكانه أن يغادر قبل ذلك ، لكنه فكر في أن من المستحيل أن يرحل دون أن يودع الصبي .

كما أن وداعه له كان هو أيضاً مؤلماً إلى حد لا يصدّق . لقد قال له هاري ، محاولاً أن لا يدع ذقنه ترتجف : «كنت أرجو أن تطيلا المكوث مع بعضكما البعض . أنا أحببت الطهي ، كما أنك تساعدني بالأفكار والمشاريع» .

– إخوتك سيعودون إلى البيت قريباً .

– نعم ، لكنهم لن يبقوا كما أنهم ليسوا مثلك . كما أنك جعلت بيتا تبتسم . . .

– في البداية فقط . . .

فقال هاري بذكاء : «نعم ، ولكن بإمكانك ذلك مرة أخرى إذا شئت . أليس كذلك؟» .

لم يكن لديه جواب لهذا ، فقال : «أنا مضطر إلى الرحيل» .

– هل ودعت بيتا؟

– إنها تحلب الأبقار .

– أنت حقير .

قال هاري هذا وقد توترت ذقنه ، ثم أخذ يدور حول سيارة ماركوس ثم رفس العجلة : «ظننتك صديقاً» .

– هاري . . .

– إلى اللقاء .

وحمل حقيبته المدرسية واتجه إلى البيت .

لم ير ماركوس أياً من روبي وداريل ، كما أن بيتا كانت في المحلب . لم يكن هناك من يقف ليودعه وينظر إليه وهو يبتعد .

ورحل.

كانت بيتا تحلب بقرتها المفضلة عندما سمعت محرك سيارة يدور، التفتت وأخذت تنظر إلى سيارته الصغيرة الجميلة وهي تخرج من طريق المنزل ثم تتجه إلى الطريق الرئيسي.

هائل. لقد رحل.

ووضعت رأسها على جسم البقرة وبكت.

- هل ستخبرينني عن سبب هذا كله؟

كان الليل متأخراً، وقد ذهب هاري وداريل إلى النوم. هاري مكرهاً على عكس داريل الذي اختل نظام نومه بين نيويورك واستراليا. وبقيت بيتا وروبي وحدهما. كانتا جالستين في الشرفة ينظران إلى القمر فوق البحر.

- أتقولين إنه طلب منك أن تبقي زوجة له؟

فأومأت بيتا: «أنت سمعته».

- هل لك أن تشرحي ذلك؟

- إنه لم يقل إنه يحبني. قال فقط... إنه يتصور أن هذا الأمر سينجح. كان يستمتع بتمثيل دور الأب الروحي المساعد... وعدنا بالعطاء... بأن يحوّل هذا البيت إلى منزل فخم ثم يأتي لزيارته عدة أسابيع في السنة ليرى نتيجة إحسانه. وأن بإمكاني أن أزوره في نيويورك، وأنتظر رؤيته كلما شعر بحاجة جسدية.

- هذا لا يبدو عرضاً عاطفياً للزواج.

قالت روبي هذا بشيء من التردد فنظرت إليها بيتا بارتياب: «أتسخرين مني؟».

- آه، يا عزيزتي، لا يمكن أن أسخر منك أبداً.

ثم وضعت يدها على يد بيتا: «أنت على صواب. عليه أن يفهم...».

- إنه لن يفهم أبداً.

فقالت روبي بلطف: «المعجزات تحدث أحياناً».

وسادت لحظة صمت قالت روبي بعدها: «أنا وداريل، مثلاً...».

- الآن، هذا شيء لا أفهمه.

فقالت روبي ببساطة: «داريل يريدني».

وأغمضت عينيها. كان صوت البحر مسموعاً بقوة في ظل هذا السكون. وعندما عادت ففتحتهما، كان يحيط بها جوّ من السكينة لم تعرفه بيتا قط. وقالت: «كانت الحياة مظلمة، لم أستطع أن أنسى آلامي. ولكن، معكما وأنتما تمثلان دور العروسين... وأنا أرى ما كان يحدث لماركوس عندما فكر في أنك بحاجة إليه... لا أدري. لقد تخليّت عن حذري لحظة، كما أظن، ثم أخذني داريل إلى المنزل بعد حفل زفافكما، وأخذنا نتحدث. كان جسده... مليئاً بآثار الجراح، كما كان متكتماً كذلك. تحدثنا وتحدثنا. ومنذ ذلك الحين لم نفترق. وأظننا سنبقى كذلك إلى الأبد.

وابتسمت ابتسامة حوت كل ما في الحياة من بهجة.

بهذه البساطة....

حامت هاتان الكلمتان حولهما. كان هناك شيء من البهجة، ولكن أيضاً... كان ثمة حزن... يأس. وقالت بيتا: «لا يمكنه رؤية ذلك».

- أتعنين أنك... تحبينه؟

- طبعاً. أحبه.

- وهل أخبرته؟

- همم. نعم.

- ومع ذلك هرب؟

- لا. لقد عرض عليّ الزواج، بشروط.

فقالت روبي: «يا له من ملياردير مغفل».

وساد الصمت... وطال. وأخيراً قالت روبي: «حسناً، ما تحتاجه هنا هو خطة».

- خطة؟

- ذلك ما يحسنه ماركوس أكثر من أي شيء آخر. خطط مجتمعة، تولّي الأعمال، ووضع الخطط. لقد أمضى ثماني سنوات في تعليمي كيف أفعل ذلك. والآن، هيا إلى العمل.

- روبي...

- أتخبرينني بأن لا أتدخل، يا فتاة؟

فقالت بيتا نصف ضاحكة: «لا، يا روبي. بل إنني بحاجة ماسة إلى مساعدتك».

- أنت تتكلمين وكأنك حقيقة من آل بنسون.

- إننا لم نفسخ الزواج بعد.

- ما هي الخطة؟

- إنها (الصمت).

- أهذا كل شيء؟

- لقد ذاق شيئاً لم يكن يعلم بوجوده. فلنتركه وحده ليفكر في ذلك.

* * *

- الهاتف معطل.

- معطل؟

وجعل ماركوس رجاله يتصلون بالمسؤولين في استراليا، لكنهم أخبروه بأنهم أخذوا علماً بأن لا يستعجلوا في إصلاحه. لأن أصحابه لديهم هاتف خلوي. لا، إنه لن يحصل على رقم ذلك الهاتف مهما دفع من نقود.

كان يعلم رقم هاتف روبي الخلوي. لكنه وجده مقفلاً، وكانت أرسلت فاكس من مكتب البريد تقول فيه إنها قررت أن تأخذ إجازة شهر لتتعلم كيف تحلب الأبقار.

روبي تحلب الأبقار بينما ماركوس كان...

ماركوس كان يكتسب مالاً. فقد أنزل لتوّه موقعاً على الإنترنيت يسوّق مشروعاً لبيع سلعة جديدة. كان يقوم بما قام به دوماً.

- إلى متى سيدوم الصمت؟

سألتها بيتا فتوقفت روبي عن أول محاولة لحلب بقرة: «كوني صبورة».

- لا أستطيع.

- بل تستطيعين.

* * *

ثم مرّ أسبوعان، ثلاثة.

أمضى ماركوس وقتاً طويلاً يحدّق في علب المجوهرات، ليختار، في النهاية، ماسة واحدة، رائعة لا عيب فيها وتليق بملكة.

ثم أرسلها مع رسول خاص مع بطاقة كتب عليها (إلى فتاتي سندريللا، أرجوك أن تعيدي التفكير).

* * *

مع الرسول العائد جاءت علبة صغيرة تحتوي على الماسة وشيء آخر. عقد من أزهار أقحوان ذاوية. وكان مكتوباً على البطاقة (أنا لست سندريللا، أنا هي أنا فقط. أنا أحبك يا ماركوس، لكنني لا أريد ماستك).

حدّق إلى البطاقة طويلاً... طويلاً إلى حد أن أعصاب مساعدته المؤقتة توترت: «هل أنت بخير، يا سيد بنسون؟».

فأجاب متجهماً: «أنا بخير. هل يمكنك أن تتدبري أمر إعادة هذه إلى المتجر؟».

وناولها الماسة، فنظرت الفتاة إليها وحبست أنفاسها وتأوهت بنشوة: «آه، يا سيد بنسن. أية امرأة تموت لأجل ماسة كهذه».

فقال دون أن يستطيع منع نفسه: «ليس فتاتي، ليس الفتاة التي أحب».

كان ماركوس يحضر اجتماعاً عندما وصل البريد. وقاطعت سكرتيرته الاجتماع معتذرة: «كنت طلبت مني أن أخبرك إذا وصل أي شيء من أستراليا».

وكان صندوقان في الانتظار.

الصندوق الأول يحتوي على ثوب زفاف بيتا. ساتان، دانتيلا، حذاء مناسب، عصابات لشعرها. ودون اعتبار لنظرات الفضول من موظفي مكتبه، أخرج الثوب من صندوقه. لقد شمّ العطر الذي كانت وضعته ذلك اليوم، وكان فيه ورقة تقول: «شكراً لك للحكاية الخرافية».

وكان هناك صندوق آخر، ففتحه. كان يحتوي على «جزمة» مطاطية، بقياس قدمه، وورقة أخرى تقول: (الواقع هو أكثر متعة).

أوقف الجزمة على خشب المكتب المهوغني اللامع.

يا للسخافة. متعة؟ يا للسخافة!

خرج مع النساء مرة أخرى. أو حاول ذلك، لكن النساء بَدَوْنَ له سطحيات، باردات، تافهات.

بيتا...

ولكن بيتا في الناحية الأخرى من العالم.

قالت إنها تحبه. فإذا كانت تحبه، لماذا لم تأخذه؟ تقبل بشروطه؟

وهمس في أعماقه صوت خافت يقول، شروطك... قاسية؟

وفكر، متجهماً، بأن ما عرضه عليها، هو كل ما يستطيع. والوعد بأكثر من ذلك كذبة لن تتحقق.

وحدث نفسه بأنه... جبان.

ولكن، أن يتخذ الخطوة التالية...

أن يتخذ خطوة أخرى كان مستحيلاً.

* * *

اتصلت به روبي آخر الشهر. لم يصدق أذنيه في البداية، ثم اعتذر ليخرج من الاجتماع، وأقفل باب مكتبه على نفسه لكي يركز اهتمامه على اتصالها.

- روبي..؟ أين أنت بحق جهنم؟

فأجابت ببشاشة: «حيث ينبغي أن تكون أنت. هنا، في استراليا. مستمتعة بوقت جيد حقاً».

- أنت موظفة عندي.

- لم أعد كذلك. لقد تركت العمل. طلب داريل يدي للزواج.

ساد الصمت. أخذ يفكر في مساعدته الهادئة الرصينة وكفاءتها النادرة التي، طوال السنوات التي عملت فيها عنده، لم تسمح قط لحياتها الشخصية بأن تتدخل في عملها. لم تكن لها حياة شخصية قط!

وهي ستتزوج ضابطه الصارم العنيد ذا الجسم المغطى بالندوب. وقالت بصوت لم يكد يعرفه: «إنه جذاب. أنت تعرف أنه كذلك. وقد قررنا أن نبقى هنا فترة لنساعد بيتا. لأن هذه المزرعة بحاجة حقاً إلى أكثر من مجرد بيتا لتديرها. ماركوس، يمكنني أن أحلب الآن!».

لم يصدق. وقال: «بيتا لا تسمح لأحد أبداً أن يقترب من بقراتها».

- نعم، لكن اكتساب ثقة البقرات استغرق مني وقتاً... شهراً، كنا، وداريل، نساعدها على إدخال البقرات وبهذا تعودت هذه علينا، وتعلمنا اسم كل واحدة منها. يمكنني أن أنظف الأوعية الضخمة، كما أنني صرت أعلم كل شيء عن التهابات الثدي وعدّ الفطريات تحت المجهر. وتنظيف المكان هو الشيء المفضّل لديّ. آه، يا ماركوس، كم ذلك ممتع!

- ولكن... أنت تنتمين إلى هنا؟

- لا، بل أنتمي إلى المزرعة. لأن داريل هنا، لا أحد هنا يحدق في ندوب وجهه. وهو أمهر مني بالحلب بكثير. قالت بيتا إن بإمكاننا أن نعيد طلاء المنزل الوردي ونسكن فيه قدر ما نريد. لدينا، أنا وداريل، مدخراتنا، كما أن لديه راتب التقاعد من الجيش. وهذا كله يضمن لنا حياة مريحة. إننا لا نحتاج هنا إلى الكثير. ولدينا الكثير الآن. ويمكننا أن نكون أغنياء حقاً. أغنياء ببعضنا البعض... دون أي شيء آخر.

ساد صمت، وجلس ماركوس مستنداً إلى مكتبه خلفه، وهو يشعر فجأة بأنه بحاجة إلى ما يسنده. وأخيراً قال: «أتعلمين أنني كنت طلبت من بيتا الزواج؟ أعني الزواج بشكل صحيح».

- هل تتحدث عن تلك الماسة السخيفة الرثة؟

- إنها تساوي ثروة.

قال هذا بجدة، ومن الناحية الأخرى من العالم أمكنه أن يشعر بابتسامة روبي وهي تقول: «ولماذا تحتاج بيتا إلى خاتم يساوي ثروة؟».

- قالت إنها تحبني.

- وأخبرتني أنا أيضاً بذلك.

- فلماذا لا تريد أن تتزوجني إذن؟

فأجابت بلطف واتزان: «إنك لم تطلب منها أن تبقى متزوجة منك، وأنت تعلم هذا».

- كيف بحق جهنم...

- أنت طلبت منها أن تزورك إلى نيويورك. زيارة! تعني بذلك أنها ستكون المضيفة الاجتماعية لك، وتنفذ واجباتها الزوجية حين تجد وقتاً لها. أنت قلت

لها إنك ستمكث معها في المزرعة أسبوعين كل عام. أيّ نوع من الزواج هذا؟

- إذا كانت تحبني حقاً...

- أن تهب لك حياتها كلها. أليس هذا ما تريده؟ حسناً، ربما كانت ستفعل. ربما عدم تمكنها من ذلك يحطم قلبها.

- بل تستطيع.

- أنت تعلم أن سندريللا الحقيقية لم يكن لديها التزامات. لا شيء تخسره. وكما أتذكر، لم يكن لدى سندريللا بديل آخر. لكن بيتا لديها هاري.

- يمكن أن يحضر هاري معها.

- وأخوتها الثلاثة الآخرون؟ ما زالوا يعيشون معاً ومتعاطفون للغاية. إنها لن تتركهم أبداً، وهكذا... لدى بيتا حياة هنا، فماذا تعرض أنت عليها؟ ماس؟ الماس لا يصنع شريكاً جيداً.

- روبي...

فقالت: «إنه خوفك. الموتى يخافون من الحياة. لكنك تعلم جيداً أن بيتا لا تستطيع أن تقبل أبداً عرضك الثري. إنها تحبك».

- وكيف تحبني إذن؟

فقالت بحدة: «إنها طبعاً تحبك. ولكن أنت... أنت لا تحبها. أنت تحب ما يمكن هي أن تكونه إذا نسيت هي مسؤولياتها... أسرتها، ومزرعتها... ومع ذلك وفاؤها البالغ هذا هو الذي جعلك تتعلق بها. إنك تخدع نفسك، يا ماركوس. أنت تريد زوجة، لكنك تجعل الأمر مستحيلاً. أنت وحيد. وعرضك الزواج على بيتا سخرية منها وتذكير لها بما سيفوتها».

- روبي...

حولت لهجتها إلى الدعابة تقريباً وهي تقاطعه: «أعرف... أعرف. هذه ليست الطريقة التي ينبغي أن أتحدث بها إلى رئيسي في العمل، ألست محظوظة في هربي منك؟».

ويقي وحده، مع شركته، وثروته، ومركزه الاجتماعي، ورخام حمامه الأسود. يا لجهنم!

مضى ثلاثة أشهر كانت بيتا تجلس في كل صباح في المخلب وتفكر في ما تركت

في نيويورك. ثلاثة أشهر لم تُستخدم فيها أوراق فسخ الزواج. عليها أن تقوم بشيء لإنهاء المسألة، بنفسها. ولكن في كل مرة كانت تثير الموضوع، كانت روبي تقول لها أن تنسى ذلك.

- لكنه لن...

فترد روبي: «بل لا بد له...».

ولكن، ذات صباح، لم تعد تستطيع أن تحتمل. استيقظت فوجدت داريل وروبي قد أحضرا البقرات. وكان هاري يعد فطوره حين دخلت بيتا المطبخ.

- هاري، هل لديك مانع من أن أذهب إلى نيويورك لفترة قصيرة؟

فأخذ هاري يفكر وهو يتناول طعامه.

- لتبحثي عن ماركوس.

فتنفست بعمق: «على أحدنا أن يأخذ المبادرة».

- روبي تقول إن علينا أن ننتظر أن يعقل.

- أظنني انتظرت ما فيه الكفاية.

فكر هاري مرة أخرى ثم أومأ: «لا بأس».

- هل ستكون على ما يرام وحدك هنا؟

- روبي وداريل سيعتنيان بي. أتظنين ماركوس سيحضر؟

- هذا ما أرجوه.

- قولي له إن روبي تطهي الآن، فهو ليس مضطراً إلى أن يأكل سجقك.

- إذا كان يحبني سيأكل سجقي.

- حتى كلبك تيد لا يأكل سجقك. ولكن حظاً سعيداً.

خرج ماركوس من اجتماعه فوجد سائقه بانتظاره، وهو شيء غير عادي. فقد كان روبرت ينتظره عادة في الشارع. وأكثر غرابة من ذلك كانت الرسالة التي يحملها: «هناك من ينتظرك على سلم الحريق».

- ماذا تعني بأن هناك من ينتظرني على سلم الحريق؟

- فقط ما قلته لك. شخص يحمل غداءه معه.

وابتسم روبرت بينما خفق قلب ماركوس: «أهي...».

- انظر بنفسك يا سيدي.

بيتا . . . طبعاً بيتا .

كانت جالسة على سلم الحريق حيث قابلها لأول مرة. غير أنها هذه المرة كانت جالسة على درجة بعيدة عن الباب الدوّار. كانت تلبس «شورت». رثاً وقميصاً قطنياً حائل اللون وحذاءً خفيفاً. وتحمل بيدها كيس غدائها، وزجاجتي ماء بجانبها .

– هاي، أتريد أن تأكل؟

ومدت له الكيس. فقال بحذر: «بيتا؟».

فابتسمت: «نعم، هل تتذكرني؟».

يتذكرها؟ كل ما استطاع أن يفعله هو أن يمنع نفسه من الاندفاع إليها وأخذها بين ذراعيه . . . الآن هذه اللحظة. لكن التعبير على وجهها منعه من ذلك. كانت تبتسم بشكل رسمي، ما أبقاه بعيداً عنها .

– ماذا تفعلين هنا؟

– فكرت أن بإمكاننا أن نبدأ من جديد .

– فكرت أن بإمكاننا أن نبدأ من جديد؟

فأفسحت له ليجلس بجانبها على الدرجة: «يمكننا أن نتشارك، فقد أحضرت ما يكفي اثنين».

– ولكن لماذا . . .

– خيّل إليّ أننا ابتدأنا بشكل خاطئ. أنت أنقذتني وأنا شاكرة جداً. وبالمناسبة، لم أجد لوحة باسم تشارلز بين لوحات القاطنين في المبنى، وهذا يزيد من شكري. ولكن ليس ثمة علاقة تُبنى على الشكر. قالت روبي إن علي أن أتركك مدة أطول لكنني شعرت بالوحدة. وهكذا تصورت . . . إذا كنت أنا أشعر بالوحدة لا شك أن شعورك أسوأ. ففكرت في أن أحضر وأرى إن كان بإمكاننا أن نصبح صديقين .

– صديقان!

كانت لا تزال جالسة وقد مدت له الكيس ليأكل من الفول. وكانت تخطف الأنفاس، فقال: «لا أدري إن كان يمكنني أن أكون . . . أكون صديقاً».

– كل إنسان بحاجة إلى صديق.

كانت تتحدث وهي تأكل من الفول وكأن هذا أهم من الحديث. وتثرثر دون أن تنظر إليه وكأنهما من المعارف العاديين، لا أكثر .

– حسب قول روبي، أنت تظن أن بإمكانك أن تعيش وحيداً في شقة فخمة إلى الأبد .

– لا؟

– إجلس وكل معي .

وعادت تقدم له الكيس فأخذ حبة منه دون وعي، وقالت بجد واضح: «علينا أن نتشارك».

– نتشارك بماذا؟

– بما يتشارك به الأصدقاء. حبوب محمصة، سلالم النجاة من الحريق. الحياة .

– بيتا . . .

فقالت بلهجة «الدردشة»: «أنا أحبك، كما تعلم. لقد أنقذتني مرة، لكن الآن حان دوري لأحاول إنقاذك. لأنقذك من حياة الرخام الأسود. هذا إذا شئت أنت أن أنقذك. ولكن عليك أن تقرر. والآن . . . أخبرني إذا كنت أتطفل عليك فقد قال روبرت إنك مشغول».

– أنا دوماً مشغول .

– أرأيت؟ هذا هو الأمر الذي لا أفهمه. أنت ملياردير الآن، ومشغول بزيادة أموالك. لماذا؟ لكي تشتري المزيد من الرخام الأسود؟

– لا .

– ماذا تريد أن تشتري إذن؟

– سريراً جديداً تضعينه على شرفتك، إنما كبير الحجم .

فابتسمت: «وماذا بعد؟».

– طائرة نفاثة تمكنني من الرحيل والعودة يومياً .

– لماذا؟ لتأتي إلى موطنك في نهاية الاسبوع؟

– موطني؟

فقالت برقة: «موطنك حيث أنا يا ماركوس. أنا أحبك، روبي تقول إن عليّ

أن أكفّ عن قول هذه الكلمة وأدعك تستنتجها بنفسك. لكنني لا أستطيع، فأنا أحبك كثيراً إلى حد لا يمكنني معه أن أقبل عرضك بالزيارة لفترة أسبوعين في السنة، أو تمضية عطلات أسبوعية متناثرة. هذا يجعلني أجن. تلك الحياة تناسب امرأة تهتم بوضعك الاجتماعي فقط. لكنني لا أريد ذلك يا ماركوس، أنا أريدك أنت فقط».

- أنا لا أستطيع...

- أعرف ذلك. فأنت لا يمكنك أن تستوعب ما أقول. ولهذا أنا هنا. والآن لا تخف، فأنا لست هنا إلى الأبد. أنا هنا فقط لفترة قصيرة لأرى... لأرى إن كان هناك من أمل».

ونهضت وهي تنظر بأسف إلى الكيس الفارغ في يدها: «هذا هو الغداء. انتهى. ولكن لديك ما تعمله، وأمكنة تذهب إليها. سأراك غداً».

مدّ يديه ليمسك بها لكنها تراجعت بسرعة، وقالت: «في نفس المكان ونفس الوقت؟ هل أعجبتك الحبوب هذه؟».

- لا!

- وأنا لا آكل الكافيار.

- لست مضطرة إلى أن تأكلي الكافيار.

اندفع إليها بقوة لكنها كانت أسرع منه إذ هبطت متراقصة إلى فسحة السلم التالية ثم قالت ضاحكة: «إلى اللقاء غداً».

كان يوماً طويلاً حقاً.

ذهب ماركوس إلى اجتماع بعد الظهر، ولكن كان عليه أن يعتذر للخروج. لم يستطع أن يفكر سوى في بيتا.

أحبك، أحبك، أحبك!

لطالما اعتاد الآخرون على قول هذه الكلمة. ولكن لم يكن أحد يعني ذلك حقاً، لا أحد مثل بيتا.

كل ما عليه أن يفعل هو أن يخطو إلى الأمام. يجازف بكل شيء؟

ولكن بماذا يجازف؟ باستقلاله؟ بأمواله؟ برخامه الأسود؟

غادر المبنى بعد الظهر واتجه إلى «الحديقة العامة المركزية». ثم سار، لم يمش في

حياته قط بقدر ما مشى عصر هذا اليوم، كان يفكر فقط في وجه بيتا الجميل وعينيها المتراقصتين وكلماتها...

أحبك، أحبك، أحبك...

ليس عليه سوى أن يتقدم تلك الخطوة... أبطال الحكايات الخرافية لتتعقد أمورهم إلى هذا الحد. إعثر على فتاتك سندريللا، واحتفل بزواجك منها بكل إجلال ثم ضعها في قصرك وتابع حياتك بعد ذلك.

أما فتاته سندريللا فقد حصلت على النهاية السعيدة. الثوب الأبيض والدانتيل وعهود الزواج، لكنها تريد المزيد.

وأخيراً وجد نفسه يبتسم. كلما طال سيره، ازداد ابتساماً. إنها ليست سندريللا، إنها فتاته الجميلة بيتا. لقد تجاهل هديتها، ولهذا تبعته. إنها تقوم بإنقاذه على طريقتها الخاصة. إنه يعرف ما كانت تقدم إليه. العالم!

العالم الذي علّمته أمه أن يؤمن به، هو عالم يعتبر أن ثوب الزفاف الأبيض كل شيء. وقد رفض ذلك، ولكنه لم يفهم أن هنالك بديلاً له.

والبديل كان بيتا الجميلة.

أين هي الآن؟

لا يمكن أن تكون مقيمة في ذلك الفندق الخطر الذي أقامت فيه المرة الماضية.

لا! وما إن دخلت هذه الفكرة إلى رأسه حتى استقل سيارة أجرة قطعت به المدينة.

لم تكن هناك. على الأقل لم تكن مقيمة في مكان خطر، وأراحته هذه الفكرة قليلاً.

أين تراها تكون؟ إنها ستقابله في نفس المكان ونفس الوقت غداً. هل يمكنه الانتظار طوال ذلك الوقت، فلا يتصل بكل فندق في نيويورك؟ وبدا أن ليس أمامه خيار آخر.

تباً، ولماذا المال إذن؟ عاد إلى مكتبه وكلّف موظفيه بالإتصال بجميع فنادق المدينة.

بيتا غير موجودة. أين...؟

وصل بالسيارة إلى بيت روبي، ثم إلى بيت داريل، لكن المنزلين كانا مهجورين.

لم يكن ثمة شيء آخر يمكنه عمله، وليس عليه سوى الانتظار. أو... ربما هناك شيء ما يمكنه القيام به. ربما هناك بعض الأشياء...

٩ - يعيش الحب

جلست على درجات سلم الحريق، وانتظرت. ولا يكفي القول بأنها شعرت بأنها سخيفة، ما الذي كانت تفعله؟ الجلوس على درجات سلم الحريق وبيدها كيس حبوب محمصة تنتظر مليادير نيويوركي لكي يأتي ويشاركها فيه؟ تنتظر منه أن يستنتج ما تحاول أن تقوم به منتظرة منه أن يدرك أهمية ذلك.

الثانية عشرة، الثانية عشرة ونصف، لقد تأخر...

انفتح الباب وكان هذا ماركوس. كان واضحاً أنه خرج لتوّه من اجتماع ما. كان يرتدي نفس البذلة الغالية الثمن التي كان يرتديها حين قابلها هنا لأول مرة. وكان يحمل حقيبة أوراقه وكيس تسوّق.

- مساء الخير.

قال هذا برزانة فمنحته ابتسامة صغيرة فاترة.

- مرحباً.

- حبوب مرة أخرى؟

- أنا أحبها.

- أيمكنني أن أجلس؟

- بكل تأكيد.

وأفسحت له مكاناً بجانبها: «كن ضيفي».

جلس وأسند كيس تسوّقه إلى الدرابزين، ووضع حقيبة أوراقه بينه وبين بيتا، ثم فتح الكيس.

- لقد أحضرت زادي. أرجو من الله أن لا يكون قد فسد. لقد أكّد لي سام أن الكيس آمن.

- زادك؟

www.elromancia.com

- أحضرت «شاودر». و «كورن فلابجاك». تذكرت أنك تحبينهما.

- نعم. هذا صحيح.

وأخذت تنظر إليه وهو يخرج صحفتين وملعقتين وصحنين ويضعها جميعاً على حقيبة الأوراق. وسألته: «أتريد أن تشاركني حبوبي؟».

- نعم، إذا أنت شاركتني «الشاودر».

- اتفقنا.

لم يقل أكثر من ذلك. ووضع الطعام وأخذا يأكلان. كان الصمت بينهما غريباً ولكنه غير متوتر. وكانت الشمس دافئة على وجهيهما. لقد اكتفى كل منهما بتناول الأكل وترك ما بينهما إلى ما بعد ذاك.

كانت وجبة غريبة حقاً في نظر بيتا، لكن دفئاً كان يسري بينهما. إنها قوة تشبه... الحب؟ كان بينهما مسافة قدم، ولكن بإمكانها أن تشعر بقوته وكأنه يمسك بها. كان يبتسم. وبدا وكأنه كان يبتسم في داخله أيضاً.

في مكان ما في داخلها، أخذ شيء ما يغني.

- يا لسوء حظ من يضطر إلى استعمال سلم النجاة هذا!

فقال ماركوس متكلفاً الرصانة: «يمكنهم أن يبحثوا عن سلم خاص بهم، فهذا السلم محجوز لحسابنا».

فقالت برقة: «يؤسفني أننا لا نستطيع أن نستقر هنا إلى الأبد. على هذه الأرض الحيادية».

- كنت مصمماً على أن أتحدث معك عن ذلك.

- أصحيح؟

- مسألة الحب هذه...

ووضع صحنه والتفت إليها، وانتظر ريثما وضعت هي صحنها، ثم قال: «أنا لست ماهراً بها».

- لديك العناصر اللازمة لذلك.

- نعم، ولكن ليس (الوصفة).

- بإمكاننا أن نعلّمك. أنا وهاري وروبي وداريل والكلب تيد...

- أظنك سبق وفعلت ذلك.

كان الغناء يدور في أعماقها حتماً. كان ماركوس يبتسم دون أن يتحرك نحوها، لكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك. هذا الرجل الباسم الكبير الحجم، بعينيه اللتين رأتا الكثير ووجدتا أخيراً مستقرهما... معها.

بادلته ابتسامته، وبشكل ما، وفي هذه اللحظة، أدركت أن الأمر سيكون على ما يرام.

سيكون هناك مكاناً لهما، وثمة طريقة للقيام بذلك. قال: «لديّ هديتان».

قال لها ذلك فانطفأ مرحها قليلاً: «ماركوس. لا أريد ماساً».

- لا مجوهرات على الإطلاق...

وبهت وجهه وأخرج من جيبه علبة مجوهرات.

كانت جوهرة قداندست في المخمل الأبيض، لكن هذه لم تكن ماسة. كانت عقدة فضية مبرومة ببساطة وجمال يخطفان الأنفاس. وفي شبكة من خيوط فضية مشدودة ثبتت ثلاثة أحجار من الياقوت ضئيلة الحجم رائعة الجمال كانت تتألق في أشعة الشمس. وكانت بخضرة البحر، وهو لون عينيها.

قال: «إنه خاتم صُنع لك خصيصاً يعبّر عن هويتك ونوعك بين النساء. أنا أعلم أنك لا تريدين أكاليل مرصعة بالجواهر ولا ملابس فاخرة لكنني أردت أن أعبّر عن حبي لك».

وعندما فتحت فمها لتتكلم، وضع إصبعه على شفتيها يسكتها: «وهناك شيء آخر عليّ أن أنتهي منه، فأريك النهاية الكاملة».

وقلب كيس التسوّق ليخرج منه... «جزمات» مطاطية؟

لكنها لم تكن مجرد «جزمات» مطاطية عادية. كانت مصنوعة بشكل فني مذهل. كل فردة منها كانت أشبه بقطعة فنية مطرزة لم تر بيتا مثلها قط من قبل.

كانتا «جزمتين»، واحدة بقياس قدم بيتا، والثانية بقياس قدم ماركوس.

قال لها: «لقد قلبت السماء والأرض لأجد صديقاً يصنع هاتين لنا. لنلبسهما معاً في المحلب».

شهقت، وأمسكت بفردة منها وقلبتها، وقالت برهبة: «أتظن أن البقرات ستدعنا نحلبها ونحن نلبس هذه؟».

- أظن البقرات ستحبها عندما تعتاد عليها؟

www.elromancia.com

فهمست: «وكيف تعتاد عليها أثناء أسبوعين في السنة فقط؟».

- حسناً، هناك شيء آخر علينا أن نتحدث عنه. أنا أعلم الآن أنك تحبين الشرفة في بيتك. وأعلم أنك لا تدعين الغلمان ينامون في ناحيتك من الشرفة. ولكن هل لك أن تنظري إلى هذه؟».

وأخرج من الكيس مجموعة من التخطيطات. وبينما أخذت تنظر مذهولة صامتة، بسط لها التخطيطات لكي تدرسها بإمعان.

- خرائط مخططة؟

- هذه هي الشرفة. لقد تحوّلت على الخرائط، إلى الغرفة الرئيسية في البيت، لكنها ما زالت أقرب كثيراً إلى شكل الشرفة.

هزت رأسها بارتباك: «ماركوس. كنت أخبرتك بأنني لا أريد بيتاً فخماً».

فقال ضاحكاً: «هل لك أن تسكتي؟ بيتا، هناك فرق كبير بين شرفتك وبين ما يسميه الناس بيتاً فخماً، أظن بإمكاننا أن نضيف «دوش» جيداً».

- «دوش»...

- أعرف أن هذا ترف خالص. لقد وضع صديقي ماكس هذه المخططات، ساعدته فنفذها بشكل مستعجل. لكنها نسخة أولية، شرفتك لن تُمس رغم أنني أرجو أن نغيّر اسمها إلى «شرفتنا». الثقوب في خشب الأرض ستختفي. المطبخ، وأنا أحبه وكذلك أنت، سيبقى كما هو أيضاً بعد ترميمه. وقد أضاف غرفة جلوس كبيرة خلف المنزل للفتيان عندما يأتون إلى المنزل حيث يمكنهم أن يستقبلوا فيها أصدقاءهم. ثم غرفة نوم لكل منهم، وحمامين.

- ماركوس...

فقال، ولأول مرة تسمع قلقاً حقيقياً في صوته: «وبالنسبة إلى عملي في هذا المكتب، فكرت... وبما أن روبي ستقيم هناك على كل حال، فكرت في أن بإمكاننا أن نؤسس قاعدة حيث يمكنني أن أضع فيها ممثلين أسلمهم المسؤولية هنا، بينما يمكننا، أنا وروبي، العمل بواسطة الفاكس والإنترنيت. قد أحتاج إلى الذهاب إلى نيويورك ربما مرتين سنوياً إنما ليس أكثر من عشرة أيام كل مرة. وإذا أنا وعدتك بإخلاص أن لا أستعمل الدرجة الأولى وأضع ركبتي تحت ذقني أثناء الرحلة... ما رأيك يا بيتا؟».

ما رأيها؟ كان عالمها يتفجر حولها. وتفجر الفرح منها في كل الأنحاء. وكان هو ينظر إليها بقلق. حبيبها ماركوس...

- هل ستسافر في الدرجة السياحية الاقتصادية لأجلي؟

- سأجلس في كل مكان لأجلك.

- حتى على درج الحريق؟

- إذا كنت موجودة عليه.

- ماركوس. سأقيم في الشقة ذات الرخام الأسود إذا كنت أنت فيها.

فاختفت نظرة القلق من عينيه: «أحقاً؟».

- حقاً.

- وهل ستلبسين خاتمي؟

وبدا ذلك القلق السخيف في عينيه مرة أخرى، فنظرت إلى العلبة الصغيرة ولم يكن ثمة خيار، فرفعت الخاتم ووضعته في إصبعها. أخذ يتلألأ في أشعة الشمس... مدت يدها مرة أخرى لتراه، فوقعت في الغرام مرة أخرى.

- آه، يا ماركوس. إنه جميل.

- أحقاً؟

- حقاً. يجب أن أقدم لك شيئاً.

- قدمت ما يكفي.

سألته بصوت غير ثابت: «هل... هل ستلبس «جزمة». لأجلي؟».

وسرعان ما رفس حذاءه من قدميه لتحل «الجزمة». مكانه في لحظة. فنظرت إليها وأخذت تضحك بصوت خافت مهتزّ: «إنها رائعة».

- أتعلمين أنني عشقت إصبع قدمك العاري؟

فنظرت إليه بعجب: «كيف يمكن هذا؟».

- إنه إصبع مثير للغاية، مثل إصبع سندريللا بالضبط.

- ماركوس...

- هممم...

- هل تنوي أن تعانقني أم أعانقك؟

- حسناً، هناك مشكلة؟

- مشكلة؟

وشعرت بقلبها يكاد ينفجر. حبيبها ماركوس... رجلها... فقال وهو يحدق إلى «الجزمة» المبهرجة في قدميه: «أنا قلق قليلاً بشأن هذه الحكاية الخرافية التي التصقنا بها كما يبدو، فقد تغيّرت قدماي، فإذا عانقتني أتراني سأتحول إلى ضفدع؟».

فهمست: «هل نجرّب؟ دعنا نجرب بقوة حقيقية. فإذا أنت تحوّلت إلى ضفدع، أعدك بأن أبقى على حبك. سواء كنت ماركوس الضفدع... ماركوس أي شيء. فأنا لك إلى الأبد».

الخاتمة

بعد ذلك بأسبوع، كانا يتجهان إلى البيت... وإلى عرس آخر كان أقل بساطة من الأول وأهم. أشار إليها ماركوس لدخول طائرته النفاثة، ثم أخذها بين ذراعيه. وعندما أخذت الطائرة ترتفع في رحلتها أسكت احتجاجها بعناق. لكنه لن يستطيع أن يسكتها إلى الأبد.

- ماركوس. هذا سلوك فاحش! كنت وعدتني بأن لا تسافر في الدرجة الأولى... ولكن هذه...!

فقال بصوت يميل إلى السخط: «وما هو العيب في هذه؟».

- إنها... الدرجة الأولى بحد ذاتها!

- لا شيء يشبه الدرجة الأولى، ذلك أن الدرجة الأولى تحتوي على مقاعد للركاب الأغنياء. بينما الكرسي الذي تجلسين عليه هو كرسي راكب عادي، وبالتالي هو اقتصادي...

- إنها طائرتك النفاثة الخاصة.

- نعم، وأنت في القسم الاقتصادي. تعوّدي على ذلك.

لكنها بقيت ذاهلة ممزقة بين السخط والضحك.

- ماركوس، كم كلفك زخرفة «الجزمتين»..؟

- أيهمك ذلك؟

- نعم!

لكنه كان يبتسم: «يا حبيبتي. سنتفق نقودنا على أشياء جيدة. كالتصدّق على الفقراء، وتحسين أسرتنا ومزرعتنا. ولمصلحة أبقارنا وكلابنا وأولادنا. وعلى سعادتنا الخاصة. لقد جاهدت كثيراً في تكوين ثروتي ما يجعلني أستحق بعض البهجة منها».

www.elromancia.com

واتسعت ابتسامته: «كالنقود التي دفعتها لتشارلز ليخلي مكاتبه ويلغي عقد الإيجار، وذلك كيلا تقع عينا أي منا، أنا وأنت والموظفين لديّ، عليه مرة أخرى».

- ماركوس...

ومرة أخرى أسكتها بقوله: «انتبهي. لا أستطيع منع نفسي من أن أشعر بالأسف لأجل الرجل، أحياناً. هكذا هو... غبي. فهو لا يدرك أنه لا يؤذي سوى نفسه».

وابتسم مرة أخرى وقبل شعرها: «ربما هو بحاجة لأن يعثر على سندريللا. لكنه لن يحصل على فتاتي سندريللا. هناك من أخذها منه. والآن... ماذا علينا أن نفعل على مقاعد الدرجة الاقتصادية؟ هل نضع ركبنا تحت ذقوننا؟ أظنني وعدتك بأن أفعل هذا، وأنا مستعد لأن أفعل أي شيء يجعلك سعيدة. أم تعانقينني بدلاً من ذلك يا حبيبتي؟ ما رأيك؟ اختاري».

تختار؟ لا يمكن إصلاح هذا الرجل. حاولت أن تحملق غاضبة فيه لكنها لم تستطع وإنما أخذت تضحك، لكن ضحكها سرعان ما تبدد عندما عانقها بقوة.

سرعان ما تحوّلت المقاعد إلى سرير. سرير رجل وامرأة يحبان بعضهما البعض... إلى الأبد.

وهما متوجهان إلى الوطن ليعيشا العمر معاً... بجزمتين هما أغرب ما في العالم!